# دراسات سوسيولوجية معاصرة



أ.د. سامية خضر صالح

# دراسات
# سوسيولوجية معاصرة


دكتورة

**سامية خضر صالح**

**أستاذ ورئيس قسم الاجتماع والفلسفة**

**كلية التربية – جامعة عين شمس**

# فهرس

# المقدمة

# الرؤية القومية لعلم الاجتماع

- اختلفت الأسباب التي دعت ابن خلدون وأوجست كونت إلى إنشاء دراسة جديدة لظواهر المجتمع، فقد عانى "ابن خلدون" من المؤامرات والأكاذيب التي تلصق بالتاريخ فعمل على إنشاء إدارة يستطيع بفضلها الباحثون في علم التاريخ أن يميزوا لما يحتمل الصدق.. فيستبعدون ما هو غير ذلك ويتمسكون بما يمكن من وقوعه من حقائق في شئون الاجتماع الإنساني وبعد أكثر من أربعة قرون ظهر فكر "أوجست كونت" والذي عانى من توابع الثورة الفرنسية وأيقن أنه ليس بالقتل والمذابح يستقيم المجتمع بل بإصلاح الفكر الإنساني الذي هو أساس الجهاز الاجتماعي.. فكل ما يعتري الفكر من فساد يتردد صداه في السلوك فينشر الخلل داخل أركان المجتمع.. على أن يفهم الناس القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية حتى يستطيعوا أن يتصرفوا في حدود هذه القوانين.. ومع إنشاء الجامعة المصرية الأهلية في ١٩٠٨ دخل علم الاجتماع لمناهجها واختير للتدريس بها

العلماء الأوربيون مع قلة من المصريين واستمر تدريسه مع إنشاء الجامعة المصرية الحكومية.. حيث توالت الأقسام التي تبنت تدريس علم الاجتماع وكذلك الفلسفة وعلم النفس والسياسة وكما تم تمصير كل مؤسساتنا ظهر عدد من العلماء المصريين الذين شغفوا بدراسة وطنهم، وشعروا أنهم ليسوا أقل من الجنود الذين يدافعون عن أرضهم وأن من واجبهم أن يكون عملهم في خدمة المجتمع فسلامة الجبهة الداخلية لا تقل أهمية عن سلامة تأمينها من الخارج واستمر عطاؤهم.. ومن أمثلة ذلك كتاب د. عبد العزيز عزت ثورة التحرير والإصلاح الاجتماعي القاهرة ١٩٥٨ وإشرافه على دراسة ميدانية في ثلاث قرى بمحافظة الجيزة، وكتاب د. حسن الساعاتي التصنيع والعمران بدراسته الإمبيريقية القيمة عن أحوال عمال الصناعة في مدينة الإسكندرية والتي أوصى من خلالها بضرورة تحسين أحوالهم من خلال مساهمة المؤسسات الصناعية سواء في السكن أو الصحة.

وقد وقع في يدي مقال غاضب وصلت كلماته إلى اعتبار أن المشتغلين بذلك العلم المستورد بنظرياته يعتقدون أنهم يملكون عصا سحرية لتغيير المجتمعات المختلفة وفي

موضع آخر يعتقدون أن عملهم وصفة طبية ناجحة لعـلاج جميع أمراض مجتمعهم كما أورد عن "جاك بيراك" أن علـم الاجتماع علم استعماري بطبيعته ثم وصل إلى أنه لن يضـر أحد إذا اختفى علم الاجتماع ومعـه الأنثروبولوجيـا وعلـم النفس والسياسة.

والمدهش أننا في ظل هذا العالم الذي تحـول رغـم أننا إلى قرية صغيرة تغزونا فيه الثقافـات مثلمـا تغزونـا المنتجات المستوردة.. وتدوس على رقاب عاداتنا وتقاليـدنا مفاهيم مختلفة تحتاج إلـى مزيـد ومزيـد مـن الأبحـاث والدراسات نجد من يصدر الفرمان الذي لا يعطي أهمية لعلم يعتبر من أكثر العلوم إلحاحا في عصر العولمة والسـماوات المفتوحة والمحاكاة الغريبة والقهـر الأمريكـي والاجتيـاح الإسرائيلي. فالأمراض الاجتماعية التي تصيب جسم المجتمع تزداد خاصة مع الانفتاح الاجتماعي والتحـول الاقتصـادي فليس هناك طموح من غير خسائر قـد تضـرب الصـغير والكبير على السواء.. هذا مع وجود كم غير قليل من العجز في نسبة أمية مرتفعة تعرقل التمتـع بتكنولوجيـا العصـر وتساهم في زيادة نسبة بطالة تغذي ظاهرة العنف والإدمان..

فضلاً عن مشاكل الفقر والتفكك الأسري وارتفاع نسبة الطلاق بين حديثي الزواج وانتشار الزواج العرفي وتغيب العمال عن العمل وتدني إنتاجيتهم وهجرة العقول المفكرة وانخفاض نسبة المشاركة السياسية وعدم الوعي بأهمية التنشئة السياسية.

إنه ومن المثير للشفقة أنه في غمرة ذلك الزخم العلمي الرهيب الذي أصاب العالم بحمى التفوق والتحدي يخرج علينا من يجد أن شطب خريطة علم قد تعمقت جذوره وأصبح له موضوعاته العربية ومنهجه وأهدافه وأساليبه أمر بسيط.. في حين أن ما من مؤسسة اقتصادية أو سياسية ريفية أو حضرية أو دينية أو تربوية أو إعلامية إلا وتحتاج لمختص في علم الاجتماع.. فهو ليس حقًا بالعصا السحرية التي تخترق العقول لتقدم الحل على طبق من فضة.. بل محاولات جادة ومرهقة من خلال عرض لنظريات مختلفة ينتقي منها ما يمكن أن يساعد في التوصل لأفكار تساهم في تقريب المسافات لإعطاء صورة مقارنة قد تكون قريبة أو غير قريبة من الواقع الذي نقوم بدراسته ومن خلال رصد هذا الواقع ومحاولة التعرف عليه نتوصل لبعض النتائج

بمساعدة الأساليب المستخدمة للدراسة.. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الأوبئة الاجتماعية التي تصيب جسم المجتمع يختلف أسلوب علاجها من مجتمع لآخر.. وإن كان من المفيد التعرف عليها، فمن المعروف أنه عادة لا يعطي الطبيب المعالج نفس دواء الأنفلونزا لكل مرضى هذا الداء فالدواء الذي يشفي مريضا قد يتسبب في قتل آخر مصاب بحساسية ضده ونفس الشيء بالنسبة لدراسة المجتمع فلا يمكن أن نطبق نظرية غربية بحذافيرها على مجتمع آخر خاصة لو كان شرقيا.

وإن كان ذلك لا يمنع من التعرف على كل جديد والتمتع بثورة المعرفة حتى لو كان المصدر أجنبيا.. ثم لماذا الحساسية في ذلك الشأن بالذات وإن كان العاملون في ذلك العلم هم أول من ينادون بضرورة التوقف عن مرحلة الاستهلاك الأجنبي المستورد والتي وصلت لمرحلة إنتاج متكامل انحصر في شكل جديد لفانوس رمضان والذي أصبح مستوردا من الصين رغم أنه يعبر عن تراثنا ومعه عروس المولد حيث يساعد المنتج المصري وتفوقه على تأكيد قيمة الانتماء والهوية.. أما وصف علم الاجتماع بأنه علم مستورد

ومن هنا وجب التوقف عنه فهـو منطـق معكـوس لأنهـم معروفون باستغلال كل العلوم لمصالحهم الاستعمارية. وكلنا يعلم أن ملفاتنا السوسيولوجية والنفسـية مدونـة بدقـة فـي سجلاتهم.. بل إنهم يتابعون بدقة قرارات معظم القادة العرب ويضعون سيناريوهات مختلفة لما يمكن أن يصـدر عـنهم وعلى أساسها يكون تحركهم.. وإن اجتياح صدام للكويت هو من أكثر تلك الأمثلة على تنفيـذ مخططـاتهم المدروسـة.. وتلعب الأنثروبولوجيا دورا خطيـرا فـي دراسـة عاداتنـا وتقاليدنا.. ولقد تابعت بالصدفة وجود باحثـة أنثروبولوجيـة أمريكية تنتقل في عدد من محافظات مصـر وتجلـس مـع الريفيات.. ترتدي ملابسهن وتجمع معلومات عـن مقـدار اجتياح أسرهن للمياه بدءا من مرحلة الوضوء إلى الاستحمام وغسيل الصحون وترسل من خلال الكمبيوتر المحمول تلـك المعلومات إلى مكتبها.. في وقت يحدث فيه توتر في جنوب السودان ويطالب بالانفصال ويشتد الحصار حول ليبيا وقـد تظهر مشاكل لمنابع النيل تؤثر علينا.. وهم هنـاك يهتمـون بتلك الدراسات.. فهل يأخذ المسئولون عبرة ويعطون اهتماما بدراساتنا العربية..

إن العيب ليس في العلم أو العلماء بل لأننا نتـركهم يتصرفون في أقدارنا.. ونردد ما يقولونه من أننـا ظـاهرة صوتية.. وحتى ما كتب عنا لا نستفيد به. فنحن مـثلاً لـم نستفيد من موسوعة وصف مصر التي خطها علماء الحملـة الفرنسية ولا مـن كتـاب إدوارد ولـيم لـين البريطـاني "المصريون المحدثون عاداتهم وشمائلهم" ولا "مصر اليـوم" لعدد من السوسيولوجيين الفرنسيين ولا من نظـرة "مـاكس فيبر" الدونية واتهامه للإسلام أو غير ذلك.. فنحن مـا زلنـا نتعامل مع عقول علمائنا مثلما نتعامل مع شواطئنا الطويلـة الممتدة على طول سواحلنا.. نخفيهـا بالعمـارة الأسـمنتية والألواح والأعمدة.. ونمنع الاستمتاع بها.. ثم نلعـن بلـدنا ونهجرها ونهاجر منها على اعتبار أن كل شيء فيها خطأ.. في حين أن الموضوع أولاً وأخيرا سلوك اجتماعي غير سليم نتيجة فكر غير مكتمل.. قام علماء الاجتماع بدراسته وقدموا فيه الحلول لكن المهم الاطلاع عليه واحترام ما قدموه والأخذ بدراساتهم واعتبارهم مستشارين لصاحب القرار.. ويكفي أن الغرب أخيرا يتهمنا أننا لم ننجح في عرض قضيتنا كما يجب للشعوب الغربية.. وذلك لأننا لم نكون فريقـا مـن علمـاء

الاجتماع والنفس والسياسة والإعلام لوضع استراتيجية يشرف على تنفيذها متخصصون مدربون وهذا ما يقوم به اللوبي اليهودي الذي يعرف كيف يوقف مجرد عطسة قام بها عابر سبيل مهما كانت جنسيته بدعوى معاداة السامية.. وقد استطاع مثقف يهودي يسمى "هيرتزل" وضع اللبنة الأولى لاغتصاب أرض عربية تسمى فلسطين ولم تستطع كل دول العالم العربي بكل ما تملك من إمكانيات وأموال أن توقف نزيف الدم العربي.. لأننا تفوقنا في إهدار تلك الإمكانيات وبرعنا في عدم الاستعانة إلا بغيرنا وعلينا أن نعود لتكثيف جهودنا وعدم الاستهانة بالعلم والعلماء.

**سامية خضر صالح**

**أستاذ ورئيس قسم الفلسفة والاجتماع**

**بتربية عين شمس**

# الفصل الأول

- الانعكاسات الأمنية لقضايا السكن والتنمية.
- التغيير الاجتماعي وتأثير بعض عناصره على تفجيرات الأزمات العائلية.

# الانعكاسات الأمنية
# لقضايا السكان والتنمية

كشف علماء الاجتماع أثر التغيير الاجتماعي على بيئة الإنسان، حتى أصبح الإنسان المعاصر أطول عمرا وأقل أمنا، وأصبحت مستويات المعيشة أكثر ارتفاعا وأقل استقرارا وأصبحت الدول أكثر استقلالاً ولكن أكثر تهديدا بالتدمير الشامل، ورغم أن انعدام الأمن الشامل هو ثمرة مباشرة للتطور الصناعي والتكنولوجي فإن الانفجار السكاني يزيد من تلك التبعات ويعمل على مزيد من الانهيار.

ويعتبر النظر إلى البيئة السكانية بشكل محدود هي نظرة قاصرة حيث هناك تداخل بين النظم والسلوك داخل المجتمع، وإن المظهر الحضاري الثقافي يظهر في نشاط الإنسان وسلوكه، في حين أن تدهور البيئة الاجتماعية الاقتصادية بجانب البيئة الطبيعية ظاهرة شائعة في الدول النامية نتيجة لسلوك الإنسان وانخفاض وعيه وانخفاض مستوى ثقافته وتدني مشاركته بما قد يسلبها أمنها

واستقرارها، ويزداد تدهور البيئة في المناطق ذات الكثافـة السكانية العالية والأحياء الفقيرة المحرومة من الخدمات حيث ترتفع نسبة الجرائم وحوادث القتل والنهب والسلب[١].

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن كثيرا من المجتمعات غير المخططة والمزدحمة بالسكان مهددة بـالخطر الشـديد بكافة أشكاله، ومن الصعب أن يأخذ الأفراد حذرهم عند القيام بأنشطتهم بل إن القيم الراقية والضوابط ليس لها مكان وسط تلك الجماعات. وقد تعجز القوانين والتشريعات عن حمايـة المجتمع من الانهيار الذي يحدث عن طريق أبنائـه نتيجـة الازدحام الشديد وعدم الوعي لمؤازرة القوانين والتشريعات.

وإذا كان مفهوم الأمن يعنـي الشـعور بالطمأنينـة والتحرر من الفزع والخوف والقلق فإنه من غير الممكن أن يشعر الأفراد بالطمأنينة على أنفسهم وسـط بيئـة تتصـف بالتكدس السكاني. ومن المؤكد أن العلاقة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها الإنسان سؤال قديم للغاية من حيث الهـواء والمياه والموقع[٢].

وإن تلك العناصر لم تعد تكفي نتيجة الازدحام الشديد فالهواء يصبح ملوثًا والمياه غير كافية، ومع الاستمرار فـي

استهلاكها دون قيود والمواقع متدهورة وتهتم الدول الفقيـرة بمحاربة أزمة الجوع والاضطرابات التي قد تخلقهـا أزمـة الانفجار السكاني في حين أن الدول الغنية أكثر ما يؤرقها في أي زيادة سكانية هو تلوث البيئة وخلق الفوضى وفساد النظام الاجتماعي وتأثر نوع الحياة.

وتؤثر مشكلة الانفجار السكاني على تفـاقم مشـكلة البطالة والشباب هم الأكثر تـأثرا بتلـك العمليـة السـكانية المتزايدة مما يسبب عديدا من المشكلات لتساهم في انهيـار الأمن الاجتماعي خاصة أن المشكلات النابعة مـن الزيـادة السكانية لا تقتصر على البطالة وإنمـا تتفـرع لعديـد مـن المشكلات التي تخلق أمراضا اجتماعية.

ويمثل السكان العنصر الدينامي المتغير لأي شـكل من أشكال البناء الاجتماعي.. وبدون وجود العنصر البشري ينتفي وجود البناء الاجتماعي ولا يمكن أن توجـد ظـاهرة اجتماعية أو سياسـية أو اقتصـادية إلا ولابـد أن تخضـع لظروف السياسات السكانية القائمة داخل ذلك المجتمع حيـث إن العنصر البشري هو أساس أي تغيير وأساس أي تشـكيل سواء داخل المجال الفكري أو المادي. كذلك إن أي نقص أو

زيادة في السكان يؤثر على البناء الاجتماعي كـذلك البنـاء الاقتصادي والثقافي. وإن فكرة التحكم في عدد السكان هـي فكرة قديمة لجأ إليها الإنسان من زمن سحيق ليتم التلاؤم بين أعداد الأفراد وبين موارد الثروة الطبيعية التي تحيط بهـم. وكانت أساليب "وأد الأطفال" أي قتلهم وهم في المهد وأيضـا قتل المسنين والشيوخ والمرضى بحجة عدم مشاركتهم فـي الإنتاج الاقتصادي معروفة بين بعض شعوب العـالم القـديم عرفها اليونان والرومان وباقي شعوب البحر الأبـيض(٣).. وقد مارست الجزيرة العربية وليست مصر تلك العـادة فـي عصور الجاهلية قبل بزوغ فجـر الإسـلام إلا أن حرمهـا القرآن الكريم. ورغم أن البعض قد فسره بأن ذلـك يتعلـق بالشرف والكرامة لكن التفسير الاقتصادي يؤكد أن الإمـلاق أي الفقر والوأد كانا يخصان فقط العائلات الفقيرة.. نتيجـة العبء الكبير لإعالة أطفال جدد خاصة الإناث لعدم قـدرتهم على الإعالة.. ثم تخلى الإنسان عن تلك الوسيلة واتجه إلـى الإجهاض لتخفيف الضغط السكاني بهدف الإقلال من السكان كذلك فجرت الثورة الطبية اختراع وسـائل لمنـع الحمـل فحررت النساء من عبودية الحمل المتكرر.

وقد ظهرت اتجاهات لتحسين صفات الإنسان فهناك محاولات بذلها لإيجاد مبادئ وأسس علمية لتحسـين نسـله وصفاته الوارثيـة والبيولوجيـة ويعتبـر كتـاب داروين (Charles Darwin) أصل الأنواع (١٨٥٩) مـن أهمهـا، والذي أشار فيه إلى حفظ السلالات المفضلة في الصراع من أجل الحياة وركز "داروين" على ما يسمى بالتغـاير والتـي عرفت في اللغة العادية بالبقاء للأصلح، ثم كـان "فرنسـيس كالتن" الذي طبق بعض الدراسات الداروينية حول تحسـين النسل وذلك من خلال العوامل التي تـؤثر علـى الزيجـات البشرية وتحدد معدلات الولادة.. أما العالم الإنجليزي "كارل بيرسن" فقد ألف كتاب قواعد العلم في ١٩١١. فعمل علـى تطوير علم اليوجينا [٤]. وهناك انقلاب حققه "مالتس" والـذي عاش في الفترة من (١٧٦٦ – ١٨٣٤) وذلك مـن خـلال نظريته التي أكد فيها أن السكان يزدادون بموجب المتواليـة الهندسية – بينما زيادة المواد الغذائية تكون بموجب المتوالية العددية وكان لها تأثير عظيم فقد شجعت نظريته على تشريع لائحة قانون الفقر في انجلترا وانتقلت هذه النظرية إلى ألمانيا فشجعت المسئولين على تشريع لائحة منـع الـزواج كمـا

شجعت نظريته أيضا بعد ذلك في ترسيخ فكرة تحديد النسـل التي مكنت المجتمعات من تحقيق التوازن بين عدد سـكانها وكمية موارده الطبيعية كما أثرت أفكـاره علـى الحركـات الاشتراكية والإصلاح الاجتماعي في تطوير مفهوم تحسـين النسل وعلم السكان الديموجرافيا. وقد ارتبطـت التغيـرات السكانية ببعض المعدلات الهامة مثل:

أ- معدلات الإنجاب.

ب-معدلات الوفيات.

ج- معدلات الهجرة الداخلية والخارجية [٥].

ونجحت بعض الدول فـي حـدوث بطـيء للنمـو السكاني وظهر هذا الاتجاه في غرب وشمال أوربا واستراليا ونيوزيلندا حيث تحقق انخفاض ملحوظ في معدلات الوفيات مماثل لمعدلات الخصوبة، ثـم تنبهـت لوضـع تشـريعات لمواجهة الانفجار السكاني منها:

- اليابان: والتي كانت واحدة من الدول التي بها نمو سريع للسكان وقد سار هذا الاتجاه إلى البطيء كما صـاحب ذلك انخفاض في معدلات الوفيات حيث هناك اتجاه مسـتمر

حتى اليوم ألا تنجب الأسرة أكثر من طفـل واحـد وفعـلا متوسط الإنجاب هو طفل واحد في اليابان.

- السويد: أخذت السياسة السكانية في السويد ببعض المبادئ الأساسية: أهمها الأخذ بأن الزيادة في عدد الأطفـال عن العدد المرغوب يخفض من مستوى معيشة الأسرة مهما كان دخلها... ومن هنا تعود السكان ألا ينجبـوا إلا بعـد أن يكسبوا عيشهم ويكون لديهم الإمكانيات للرعايـة الصـحية والتعليم والمطالب الاجتماعية.

- الصين: لجأت الصين إلى عديد من الإجـراءات لتنفيذ سياسة خفض معدلات النمو السكاني ومنها عدم تشجيع الزواج المبكر، وتوفير وسائل منع الحمل، وجعل الإجهاض عملية شرعية، ويتم الكشف على الزوجة كل شهر وإذا كانت حامل في الطفل الثاني يتم إجهاضها، وأحيانا يتعرض الزوج والزوجة للسجن.

- الهند: أما في الهند فهناك وحـدة طبيـة لتنظـيم الأسرة وفي كل منطقـة ريفيـة ويـتم تشـجيع الأمهـات الصغيرات على عدم الإنجاب كذلك يتم صرف وسائل تنظيم الأسرة بدون مقابل هذا بالإضافة إلى منح مكافآت لكل ذكـر

أو أنثى يوافق على إجراء تعقيم له. واتبعت معظم دول أسيا برامج للتنظيم مثل سيلان، جامايكـا، ماليزيـا، سـنجابور، كوريا، ثم تونس وتركيا.

أما في مصر فقد ظهرت فكرة سياسات تنظيم الأسرة أو ضبط السكان في عام ١٩٢٦ من خلال مؤلف كتبه (وندل كليلاند) وفي عام ١٩٣٨ تكلم "حافظ عفيفي" عن أهمية هـذا الضبط. وأكد الميثاق في عام ١٩٦١ أن مشكلة التزايد فـي أعداد السكان هي أخطر العقبات التي تواجه جهود الشـعب المصري في الانطلاق نحو مستوى أفضـل للحيـاة. ومـن المعروف أن مصر تعتبر من الدول التي يتزايد فيها السكان بمعدل كبير في إطار الدول النامية وكان تعداد السكان فـي مصر عام ١٩٦٨ حوالي ٤٨,٣ مليون نسمة وصل في عام ٢٠٠٢ إلى ٦٧,٨ مليون نسمة ونسبة الذكور للإنـاث ٥٠% حيث إنه في مصر مثل كل دول العالم يولد عدد من الذكور كل عام أكثر مما يولد من الإناث ووصلت هذه النسـبة فـي مصر إلى ١٠٥ ذكر لكل ١٠٠ أنثى في عام ١٩٨٦ [٦].

وعن الإشكالية السكانية وانعكاساتها الأمنيـة فمـن الواضح أن هناك فعلاً إشكالية سكانية في مصر فكثيرا مـا

نسمع أن الحل هو استصلاح الصحراء رغبـة فـي حسـن توزيع السكان حتى لا يظل التكدس منحصرا فـي الشـريط الضيق لوادي النيل. ولكن هذه ليست منتهى الحلـول لتلـك المشكلة حيث إن السكان يعيشون علـى حـوالي ٤% مـن مساحة الجمهورية المصرية والإشـكالية لا تنحصـر فـي التكدس السكاني فقط. لكن هناك توابع ومخرجات كثيرة تنبع من المشكلة السكانية... فالعالم المتحضـر يهـتم بالنوعيـة السكانية والخصائص والسمات.

Population Quality – ويعلـن عـن القريـة الذكية.. والإنسان الذكي.. وكذلك تتـابع الـدوائر العلميـة الطوفان الجديد من سلسلة الاستنساخ حيـث يشـير بعـض العلماء إلى أهمية استنساخ بشر أكثر ذكاء أو أكثر رقيا [٧].

وهكذا نجد أن المسافات تتسع بيننا وبين العالم المتقدم، فنحن ما زلنا نتعثر في خطوات الضبط السكاني وهم انتقلوا إلـى تحسين السمات والجينات ومن هنا كانت المحاولات الأولـى لضبط السياسات السكانية، والتي تؤثر في قيم التنمية. ومـن المعروف أن مصر تستورد ٥٠% من غذائها بعد أن كانـت هي مخزن الغلال للمنطقة من حولها ومع استمرار اتسـاع

المناطق الحضارية تقل المناطق الزراعية ويعيش المواطنون على ٤% فقط من أرض مصر بطول نهر النيل ومن تلـك الإشكالية تتخلق الانعكاسات الأمنية لقضايا السكان وبالتـالي تؤثر على أمن الوطن والمواطن ومن تلك التوابع.

- الأمية: وإن نسبة الأمية في المجتمـع المصـري تصل إلى ٤٩% موزعة بين الذكور ٣٧,٨ والإناث ٦١,٤% وتشمل الأمية فئة عريضة من السكان وتسبب مـا يسـمى بالأمية الحضارية وهي لا تقتصر على جنس معـين أوسـن معين بل تتضمن جميع فئات العمر كذلك على الجنسين وهي ترتبط بمشاكل أخرى مثل عدم الاهتمام بقيمة العمل وقيمـة الوقت والتواكـل والتكاسـل والصـحة المتهالكـة وتـدني الخصائص السكانية حيث يحل محل التدريب والتحفيـز مـا يسمى بالفهلوة والرشوة والمحسوبية [٨].

- التسرب من التعليم – ومن توابع الأميـة داخـل الأسر المتواضعة الحال انتشار تسرب الأطفال من المدارس في سن الإلزام فضلا عن عدم استيعاب البعض الآخر لعـدم قدرة الدولة على توفير المناخ الملائم لاستفادة المحـرومين من فرص التعليم ويرتبط ذلك بعدم القدرة على الاسـتغلال

الأمثل للموارد الاقتصادية مع ندرة الموارد المالية ذلك فـي الوقت الذي يقسم العالم الدول فيه طبقًـا لإنتاجيـة العامـل الواحد. حيث من المعروف أن اليابان مثلاً وكوريا الجنوبية يتصفان بنسبة تنمية عالية نتيجة المستوى التعليمي المرتفـع وبالتالي بكثافة الإنتاج خاصة فئة الإنتاج المتوسط وأن هضم التكنولوجيا المنقولة واستيعابها تحتاج إلى درجة عالية مـن التعليم خاصة إذا كان هناك هدف آخر هو التطوير والتنميـة المستمرة [٩].

- البطالة – تعرف البطالة في الدول المتقدمة نتيجة للتقدم المستمر بسرعة متزايدة في فنون الإنتاج فـي كافـة مجالات الحياة وإحلال الأجهزة الفنيـة الحديثـة لمختلـف الأشكال مكان العمال ومن هنا تتعايش المعدلات المرتفعة من البطالة مع الزيادة المستمرة في الإنتاجية ولا يتـأثر النـاتج القومي من إحلال الأجهزة المتطورة مكان الأيدي البشرية بل بالعكس يزداد، مما يعطي الفرصة لتوفير الإعانات التي تمنح للمتعطلين أو تنفيذ برامج لإعادة تدريب هؤلاء العمال علـى أعمال جديدة.. أما في الدول المتخلفة فـإن البطالـة ليسـت نتيجة التقدم في فنون وعبقرية الاختراعات والأجهزة الذكية

لكن في عدم استيعاب القوى البشرية لأي تقدم لـذلك نجـد الدول الغنية تسارع بتشجيع استغلال أوقات الفراغ والسياحة والعمل نصف الوقت – كارثة هجرة العقول ونزيف القدرات البشرية – إن هجرة العقول من الدول الناميـة إلـى العـالم مستمرة منذ سنوات طويلة وهي تزداد وهناك مثلاً أكثر من ١٥ ألف طبيب عربي قد هاجر من منطقتنا العربية إلى دول أوربا فيما بين ١٩٩٨ – ٢٠٠٠ وتؤدي انتشار البطالة إلـى هجرة العقول المصرية وبالتالي إلـى خلـق نزيـف آخـر للاقتصاد القومي والتنمية ويفقد الوطن خير شـبابنا، حيـث يرعاهم أطفالاً وينفق عليهم شبابا ليخدموا في دول أخـرى، ويستفاد منهم خارج الـوطن ولا ننسـى الأعـداد الكبيـرة المهاجرة من خير شبابنا في مجال الحاسب الآلي [١٠].

- الفقر – وأن الزيادة السكانية تساهم فـي ارتفـاع نسبة الفقر فالازدحام له دوره في مزيد مـن سـرعة نقـل الأمراض المعدية زيادة المخلفات وصعوبة تصـريفها وقـد نشرت عديد من الدراسات الأضرار الناتجة مـن الازدحـام وتلوث البيئة الفقيرة زيادة نسبة أفراد غير منتجين يعتمـدون على إنتاج غيرهم ويتضح من نتائج التعداد معاودة ارتفـاع

نسبة صغار السن والأطفال من ٦ سنوات إلى أقل مـن ١٢ سنة أما فئة العمر للذين يعتبرون عصب الإنتاج مـن ١٥ – ٦٤ سنة فقد انخفضت نسبتهم إلى ٦٣% من إجمـالي عـدد السكان حسب تعداد ١٩٨٦ [١١] وهناك مليون و ٢٠٠ ألـف مراهق في مصر بحلول عام ٢٠٠٤ يقفـون علـى أعتـاب البلوغ ولهم متطلباتهم وهناك ١٧ مليـون طفـل ينتظـرون دخول المدارس لأول مرة للعام الجديد. ومن توابع الزيـادة السكانية أن الفقراء يعتقدون أن كثرة الأولاد يمكن استغلالها في العمالة غير الرسمية مثل خدمة المنازل، صبي سمكري، صبي سباك، بالإضافة إلى عدم المعرفة لمفهـوم التخطـيط للمستقبل. ونتيجة ذلك ما يزال معدل الزيادة مسـتمرا ومـا تزال الزيادة في مصر كبيرة وتصل إلى ١,٥ مليون نسـمة سنويا وهو ما يعادل سكان دولة الكويت ومـن المتوقـع أن يصل سكان مصر إلى ١١٤,٨ مليون نسمة في ٢٠٢٦ وإذا وصلنا في عام ٢٠٦٥ إلى استقرار في معدل الزيادة فسيزداد عدد السكان بنسبة ٨,٤% مما هو عليه الآن وذلـك بسـبب معدل الخصوبة العالي خاصة في بعـض منـاطق مصـر بالإضافة إلى أن النساء اللاتي في سن الإنجاب مـن ١٥ –

٤٩ سنة كانوا يمثلون ٢٣,١% من مجموع السكان في عـام ١٩٨٦ وزادت تلك النسبة إلى ٢٥,٧% في عام ١٩٩٦ ومن المتوقع أن يزيد ذلك الرقم ليصل إلى ٢٦,٥% من مجمـوع السكان في عام ٢٠٢٥. مما يؤدي إلى وجود زيادة قـدرها ١,٨ مليون نسمة في عام ٢٠١٠ [١٢].

ومما يعني استمرار تدني صفات وسمات الإنسـان المصري وانتشار الفكر الغيبي وعدم الوصول إلـى حلـول سليمة وحسن التصرف وزيادة استهلاك المياه وتفاقم مشاكل التلوث. ورغم أن هناك توقعا تشير إليه إحصـائيات الأمـم المتحدة وهو أن يكون متوسط إنجاب الأم المصـرية ثلاثـة أطفال في عام ٢٠٠٠ – ٢٠٠٥ ثم إلى طفلـين فـي عـام ٢٠٢٠ – ٢٠٢٥ سيؤدي إلى استمرار الزيادة السكانية وإذا بقي الحال إلى ما هو عليه سيصل تعدد سكان مصـر عـام ٢٠٢٩ إلى ١٢٣ مليون نسمة. ومـا زالـت الرغبـة فـي الإنجاب والشعور بالعزوة موجودة ثم الرغبة في إنجاب الولد إذا جاءت الخلفة بنت ما زالت أيضا مسيطرة على عقول فئة كبيرة من الشعب المصري.

- الخطاب الديني – ومما يزيد من الإشكالية الاجتماعية ويؤدي إلى انعكاسات أمنية غير مستقرة على قضايا السكان والتنمية، تناقض السياسات الاقتصادية والاجتماعية مع نسق القيم الدينية والخطاب الديني حيث يجد الأفراد أنفسهم حيارى تجاه السياسة والدين فقد يشتد الخلاف الديني في موضوع بعينه فلا يعرف الإنسان أيهما يتبع ومن تلك الزاوية بالذات تهدر "جهود الدولة" وتفشل في محاولاتها المكثفة في توجيه أبناء الوطن تجاه مشاريع بعينها يشتد حولها الخلاف رغم أنها مصيرية. ومثال ذلك موضوع (النسل) تنظيم الأسرة. حيث إن بعض الأئمة والشيوخ الذين قد يسيطرون على العقول بعيدا على روح المستقبل لا يضعون في اعتبارهم تلك (الإشكالية الخطيرة) في حين أن الاقتصاديين والأطباء والديموجرافيين وعلماء الاجتماع والنفس هم الذين يقومون بعرض الحقائق العلمية وتوضيحها ومن ذلك مثال: جاء في جريدة الأخبار تحت عنوان (س و ج) من مواطن يقول إن تحديد النسل من الأمور التي يشتد حولها الخلاف في (قريتنا) فإمام المسجد الشرقي يقول بإباحته وإمام المسجد الغربي يعلن أنه حرام، والرجل يقع في

حيرة وبلبلة فكرية وطلب أن يعرض موضوعه على الشيخ الشعراوي، وهو يرد رحمه ا بأنه قد يرجع التحديد إلى المخالفة على صحة المرأة وعدم قدرتها على تحمل الحمل، أو مخافة المرأة على تحديد اعتدال جسمها أو ضيق المنزل، أما إذا كان التحديد بسبب الرزق... فالرزق من ا وا هو الرازق. ونحن جميعا مقتنعين أن الرزق من عند ا ولكن أيضا أن ا قد أمرنا.. ألا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة. ثم إن "ا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" والمدهش أنه في نفس الجريدة هناك إعلانات بملايين الجنيهات تدعو لتنظيم وتحديد النسل كذلك من خلال شاشة التليفزيون.

وفي كلمته التي وجهها إلى الأمة الإسلامية العربية بمناسبة الاحتفال بليلة القدر في ٢٠٠٣/١١/٢٠، قال الرئيس حسني مبارك: أخص بالذكر مشكلات الأمية والزيادة السكانية وهي مشكلات تحد من قدراتنا على تحقيق ما يحثنا عليه ديننا الحنيف من رفعة وتقدم.

وتأكيدا لإشارة القيادة السياسية تؤكد الدراسات العلمية على خطورة تلك المشكلة حيث إن كثيرا مما نراه

الآن من جرائم مثل الأب الذي يكوي ابنته بالنـار ويعـذبها وعمرها سنة ونصف والأم التي تقتل أولادها حرقًا الجـرائم الخطيرة هي نتاج لتوابع الزيادة السكانية وظـاهرة أطفـال الشوارع التي من المخيف أن تتحول إلى عصابات الشوارع وهي كلها قنابل موقوتة يجب أن تؤخذ في الحسبان. ففي عام ١٩٨١ كان تعداد الطلبة ٧ ملايين طالب وفي عـام ٢٠٠٣ هناك أكثر من ١٩ مليون طالب يحتـاجون إلـى مـدارس ومدرسـين وكتـب ووظـائف للعمـل ومسـاكن للـزواج ومواصلات ومدن للمعيشة ولن يكفي الدخل القومي من قناة السويس مع البترول مع الغاز مع السياحة فـي سـد تلـك الاحتياجات. ويوضح تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٣ الذي أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تحت شعار "نحو إقامة مجتمع المعرفة إن هناك ٢٧٠ مليون نسمة يعيشون في ٢٢ دولـة عربية".

وقد أثبتت البيانات الإحصائية أن عدد سكان مصـر يتضاعف نحو ثلاث مرات خلال النصف الثاني من القـرن العشرين من نحو ٢٠ مليون عام ١٩٥٠ إلـى حـوالي ٦٨

مليونًا عام ٢٠٠٢ وقد أكد رئيس الجمهورية أيضا في خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلسي الشعب والشورى في ٢٠٠٣/١١/١٩ أن المشكلة السكانية تتطلب نظرة أكثر جدية وموضوعية للوصول بأعداد السكان إلى حدود آمنة. وتقدر قوة العمل خلال ٣ سنوات ٢٠٠٠ – ٢٠٠٣ في جمهورية مصر العربية ٢٠,٢ مليون فرد وتقدر البطالة خلال عامي ٢٠٠٠ – ٢٠٠٢ بحوالي مليون فرد وتكلفة سنوات العمل للعاملين بالدولة من أجور ومرتبات ومعاشات وتأمينات اجتماعية خلال ٣ سنوات ١٩٩٨ – ٢٠٠١ تقدر بحوالي ٣٦ مليار جنيه. وإن تعداد السكان داخل وخارج الجمهورية في ٢٠٠٣/١/١ وهو ٩٦,٣ نسمة تقدر ١٩٩٨ – ٢٠٠١ وهو ٣٦ مليار جنيه قفزت في موازنة العام الحالي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ إلى ٥٢,٣ مليار جنيه. وأن معاودة ارتفاع نسبة صغار السن مع عدم قدرة الدولة على رعايتهم وتعليمهم يمثل خطرا حقيقيا على أمن المجتمع. وقد كشف أحدث تقرير للأمم المتحدة أن عمليات تجنيد الأطفال وتسليحهم من أجل المشاركة في بعض الصراعات أصبحت تتم على نطاق ضخم حول العالم. حيث تبين أن جماعات مسلحة تشارك في

خمس عشرة حربا أهلية تقـوم بتسـليح الأطفـال وأن ٢٢ جماعة جديدة تقاتل في السودان وبوروندي وأوغندا وليبريـا والكونجو الديموقراطية وكوت ديفوار وميانمنار وكولومبيـا وتمت إضافة أسمائهم إلى قائمة الجماعات التي تقوم بتجنيـد الأطفال واستخدامهم، وجاء في التقرير الذي سـلمه "كـوفي عنان" الأمين العام للأمم المتحدة يوم الجمعـة ٢٠٠٣/١١/٧ إلى كل من الجمعية العامة ومجلس الأمن بالمنطقة الدولية أن الأطفال ما يزالون هم الضحايا للصراعات على الرغم مـن الجهود الدولية التي تبذل منذ سنوات لضمان حقوق الأطفال الذين تقل أعمارهم عـن ١٨ سـنة. وأضـاف التقريـر أن الأطفال ما يزالون يتعرضون للقتل والاختطـاف والتشـويه البدني ويتحولون إلى يتامى ويحرمون من التعليم والرعايـة الصحية ويواجهون الرعب والخوف والصدمات والضـياع كما يتحول عدد كبير منهم إلى فئات تعاني مـن الأمـراض والأوبئة وسوء التغذية وتتحول حياة بعضهم إلى نمـط مـن العنف ويتم استغلالهم أحيانًا في نقل الممنوعات كالمخدرات وفي جرائم جنسية وفي التسول والسرقة. وقد أكدت عديد من الدراسات المصرية أن الزيادة السكانية عملت علـى نشـر

المناطق العشوائية حتى أن نسبتها تقدر بنحـو ٦٠% مـن مدينة القاهرة الكبـرى وأن تلـك المنـاطق تنتشـر فيهـا الانحرافات وإدمان المخدرات وحوادث العنف وترجع إلـى صعوبات ومعوقات تواجه النمو الفردي والاجتماعي لا سيما في المجالين النفسي والأخلاقي ونتيجة الزيادة السكانية فـي الفئات المهمشة تنتقل أعمال العنف من الأمـاكن المزدحمـة إلى الأماكن الهادئة التي تتحول لثقافة المجتمع بأكملـه ممـا يؤثر على الأمن العام للبلاد.

وقد كان "ادور كايم" دور كبير فـي نظريـة علـم الإجرام في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال "روبـرت ميرتون" الذي تبنى مفهوم لانومي كأساس لشـرح الجريمـة وركز هذا الأخير على تحليل المصادر الاجتماعية والثقافيـة لانحراف السلوك حيث أوضح مدى شرعية الحصول علـى المال كقيمة ثقافية والذي قد يمثل عنصـرا مـن عناصـر الجريمة خاصة إذا اعتبر المال قيمة في حد ذاته دون النظر من أي طريق قد جاء هذا المال، وإن النبذ والبطالة آفة تنخر في جسم الوطن وتقلل من فاعلية عجلة التنمية كما أن القـوة الاقتصادية هي جوهر وأساس القوة السياسـية والاسـتقلال

السياسي، وأن التفكك الاجتماعي نتيجة الانفجـار السـكاني الذي يرهق كاهل الدولة يؤدي إلى مزيـد مـن المشـكلات ويقول "توماس وزنانيكي" أن التفكك التنظيمي هو نقص تأثير قواعد السلوك القائمة في الأفراد كأعضاء جماعة أو فشلها أو الإبقاء عليها في حالة ضبط، وقوى التفكك هذه موجودة فـي كل مجتمع لكن زيادة نسبتها تعمل على انتشار اللاأخلاقيـة المؤدية إلى إضعاف تكامل التراكيب في المنظمات مما تعبر عنه في صور الرذيلة، والجريمة، والانحراف فإذا ما كثـر عدد الأفراد الذين ينتهكون قواعـد السـلوك تنهـار الـنظم ويصعب السيطرة على الأمن داخل المجتمع حيـث يحـدث الخلل الذي يخلط الأوراق فالانفجار السكاني يؤدي للبطالـة مع الفقر مع الجريمة مع البغـاء وإن حـل تلـك المشـاكل بالتحسين والاستبعاد والمنع ليس في طاقة أي فرد أو جماعة بمفردها، بل يتطلب عملاً جماعيا وهي لهذا تسمى مشـاكل المجتمع أو مشاكل اجتماعية [(١٣)].

يشير تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ أن مصـر تحتل المركز ١١٩ عالميا وفقا لدليل التنمية البشـرية، كمـا احتلت المركز ٦٨ عالميا في مقيـاس التمكـين الإنسـاني،

والمركز ٥٥ في دليل الفقر البشري حيث يبلغ متوسط العمر بالنسبة للإناث ٦٨,٣ بالنسبة للذكور ٦٥,١ كذلك بلغ معـدل القراءة والكتابة بين البالغين عام ١٩٩٨ ٤١,٨% للإنـاث، ٦٥,٥% للذكور وفي هذا الشأن نشير إلى انخفاض نصـيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالدولار حسب تعادل القوة الشرائي عام ١٩٩٨ فقد بلغ ١٥٧٦ دولارا للإنـاث ٤٤٦٣ دولارا للذكور أي أن نصيب الفـرد مـن النـاتج المحلـي الإجمالي بالدولار في نفس العام ١٢٩٠ دولارا [١٤].

وعلى الرغم من أن مشكلة الانفجار السكاني تكمـن في الزيادة السريعة والملحوظة فـي عـدد السـكان، إلا أن السكان في الواقع ليسوا مجرد أعداد لكنهم أفرادا يتعايشـون في مجتمعات يتم ضبطها بشبكة من المؤثرات الاقتصـادية والاجتماعية والثقافية، وكنتيجة لمجموعة المؤثرات يتكيـف الأفراد مع الظروف المحيطة بهم بأساليب مختلفة، فـالأفراد لا يتعاملون بشكل مباشر مع المـوارد، بـل مـن خـلال المؤسسـات الاجتماعيـة والمنظمـات الحكوميـة وغيـر الحكومية[١٥].

## النتائج والتوصيات:

١- إن الاختلالات السكانية تصبح مصدرا لاختلالات اجتماعية لكثير من الأسر المزدحمة تتفجر داخلها المشادات الكلامية والمشاجرات التي غالبا ما تبدأ بالأيدي وقد تنتهي بالسلاح وتصل أحيانًا إلى أقسام الشرطة.

٢- إن الزيادة السكانية هي المنبع لعديد من المشكلات الاقتصادية التي تزيد من الضغوط على الأفراد التي تتسبب في العديد من الانحرافات مثل السرقة والنهب والسلب والرشوة.

٣- كثيرا ما تفشل خطط الحكومة نتيجة للزيادة السكانية التي تبتلع كل الدخل القومي وتصبح الدولة في مأزق وتحت رحمة الإعانات والديون وكذلك الغذاء القادم من الخارج كمعونة القمح.

٤- مما لا شك فيه أن انخفاض عدد أفراد الأسرة يقلل من زيادة الضغط عليها، فأسرة مكونة من زوج وزوجة وطفلان أفضل من أسرة مكونة من عدد كبير من

الأطفال حيث إن انخفاض عـدد الأبنـاء يزيـد مـن رفاهيتها.

٥- إن موضوع خصائص السكان وسماتهم يجب أن يوضع في بؤرة فكر ومشاعر الإنسان المصري حيث إن العالم الآن يهتم بالكيف وليس بالكم وذلك هو الشغل الشـاغل لإنسان العصر وهذا ما يجب أن يتضح أيضا لسـكان المجتمع المصري.

٦- إن الزيادة السكانية تمل اختلالات في توزيع الثـروات فالإنسان الناجح الذي يعمل بكل جهد وكفاءة لا تستطيع الدولة أن تكافئه كما هي العدالة، ذلـك لأن عليهـا أن توفر الحياة لمن يزيدون عن الحاجة ولا يقومون بـأي عمل.

٧- إن الزيادة السكانية والتي تشتمل على فئة لا تتمتع بأي إمكانات ولا مهارات متميـزة لسـد حاجـة السـوق المعاصر يؤدي إلى خلق نسبة من المتعطلين يتحولون لجماعات متمردة على نظم ولوائح مجتمع.

٨- تعمل الزيادة السكانية على نشر ظاهرة لم تكن تعرفهـا شوارع المجتمع المصري وهي ظاهرة أطفال الشوارع

حيث من المخيف إذا لم يتم علاج تلك الظاهرة أنه من المتوقع أن تظهر ظاهرة أكثر خطورة وهـي ظـاهرة عصابات الشوارع.

٩- إن المستوى الفكري الهابط من الفنون التليفزيونية والتي تعمل على مداعبة المشاهد، مع بث قيم متخلفة يجب أن تكون موضع إعادة ترتيب من المسئولين فلا يمكـن أن تحارب الدولة الزيادة السكانية لوقف النزيف الاقتصادي ومقابل ذلك نشاهد مسلسل الحاج متولي كدرامة كاذبـة في حين أنها تساهم في الترحيـب بتعـدد الزوجـات وبالتالي في زيادة الإنجاب.

١٠- إن الاهتمام بتدعيم وضع المرأة ومكانتها سيعمل على تنمية شخصيتها بعيدا عن تكرار الخلفة، حيث يصـبح من الضروري أن تتمتع بقدراتها الذاتية وليست لأنهـا أولاً وأخيرا امرأة ولود.

١١- إن تحرر المرأة من عبودية تكرار الإنجاب يجـب أن يكون في مقدمة الاهتمامات بالنسبة للمنظمات الحكومية وغير الحكومية ويجب أن يتحمل المجلس القومي تلـك

المسئولية من خلال إعلانات ومسلسلات ودراما خاصة به.

١٢- إن جمود الأحزاب السياسية وعدم وضوح دورها داخل المجتمع المصري هو ضرر قومي، حيث لن نسمع عن حزب جعل معركته هي مواجهة الانفجار السكاني، بل تاهت أهداف الأحزاب ولم نعد نتذكر حتى اسمها إلا عددا محدودا منها.

١٣- من الضروري عدم إغفال أعداد المصريين الكبيرة التي تسافر إلى الدول النفطية وترجع بأعداد كبيرة من الأطفال مبررة ذلك بأن ا قد فتح عليها بأموال الخليج ففتحت على نفسها بعدد من المواليد، وتحتاج تلك الأسرة إلى دورات وكتيبات مثل التي توزع في الحج أو العمرة لتوعية تلك الفئة بأضرار الإنجاب المتكررة.

١٤- إن التليفزيون هو مؤسسة وطنية ويجب أن توظف برامجه ومسلسلاته لصالح موضوع تحديد النسل، فقد كانت هناك مسلسلات وأفلام ناجحة في الستينيات والسبعينيات تخطف إعجاب المشاهدين وهي تعالج تلك المشكلات بطريقة غير تقليدية وبأسلوب إبداعي فني.

١٥- إن دور رجال الدين المسيحي والإسلامي لا يقل عـن دور الزائرة الصحية أو الإعلانات التليفزيونية إن لـم يكن يزيد وإن أئمة المساجد يحملون في قولهم الكثيـر من الجذب للمصلين ومن المفيد حصولهم على دورات تعليمية وتدريبية من علماء الاجتماع والنفس والسـكان حتى يستفسروا بأهمية دورهم في الاستزادة من منـافع العلوم الإنسانية لدمجها في أقـوالهم وحججهـم عـن خطورة الزيادة السكانية.

١٦- إن كل عروسين لابد أن يمرا من خلال المأذون وإن الكلمات الدينية التي يعرضها ذلك الرجل تكون دائمـا موضع احترام للشابين ومن يحيط بهما، وإنه من المفيد أن يزيد في حديثه عن ضرورة التوعية بإنجاب طفل أو طفلين فقط حتى تكون السعادة هي الباب الذي يـدخل إليه العروسين ولا تضـيق حيـاتهم بزيـادة الأعبـاء والإعالة فيخرج الهدوء من منزل الزوجيـة ويضـيق الزوجان بحياتهما.

## المراجع العربية والأجنبية:

(١) نبيل رمزي إسكندر، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية، علم الاجتماع وقضايا الإنسان والمجتمع (الكتاب السادس عشر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨) ص٧-٨.

(٢) سامية خضر صالح، البعد السياسي للجامعـة والأمـن البيئي دراسة في المشاركة واتخـاذ القـرار (أكاديميـة البحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة ١٩٩٦) ص٥٢.

(٣) إسماعيل حسن عبد الباري، بناء المجتمع ونظمـه. (دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣)ص ٨٠.

(٤) دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن (دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ديسـمبر ١٩٨١) ص٩٢.

(٥) سامية خضر صالح، البطالة بين الشباب حديثي التخرج، العوامل، الآثار، استراتيجية المواجهة، العلاج. (الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٨) ص٣٣.

(6) Internet Source, www. Iform. com. (Egypt Population Growth, 27 Nov. 1997) Slide 27, 28.

(٧) محمد الجوهري وآخرون، دارسة في علـم الاجتمـاع المعاصر (الكتاب الثالث عشر دار المعـارف، الطبعـة الرابعة، ١٩٨٢) ص٣٧٣.

(8) Lyn Squire, Employment Policy in Developing Countries, A Survey of Issues and Evidences, Published for the World Bank, foxford University Press 1981, P. 43.

(9) Ibid P. 45.

(١٠) سامية خضر صالح، البطالة بـين الشـباب حـديثي التخرج، العوامـل، الآثـار، اسـتراتيجية المواجهـة، العلاج، المرجع السابق، ص ١٥.

(١١) سامية خضر صالح، الساطة والفقر بـين المواجهـة والاستسلام. (الأنجلـو المصـرية، القـاهرة ١٩٩٧) ص٩٧.

(١٢) الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء. (التقرير السـنوي ٢٠٠٢، جمهورية مصر العربيـة القـاهرة ٢٠٠١ – ٢٠٠٢) ص ص ج، د.

(13) Steve Fenton, Durkheim and Modern Sociology (Cambridge University Press, London, First Published 1984) P.P. 186-187.

(١٤) البرنامج الإنمائي للأمـم المتحـدة UNDP، تقريـر التنمية البشـرية لعـام ٢٠٠٠ (المطبعـة الشـرقية، البحرين، ٢٠٠٠) ص١٥٩، ١٦٣.

(15) Furedi Frank, Population and Development, Critical Introduction. (New York St Martins Press, 1997). P. 37.

# التغيير الاجتماعي وتأثير بعض عناصره على تفجير الأزمات العائلية

# Le changement social et l'influence de quelques facterus envers les crises familiales internes, economiques, culturelles, celibataires

من الصعب ملاحقة كل عناصر التغيير الاجتماعي وتأثيره على الأزمات العائلية لأنها أصبحت متعددة في ذلك العصر المفتوح بلا حدود وبلا ضمان لسقف ملموس نظرا لعمليات الشد والجذب خاصة في مجال التكنولوجيا الفائقة التطور والتحديث والانبهار. حيث يؤثر التغيير الاجتماعي في مدى أوسع من الخبرة العادية والجوانب الوظيفية للمجتمعات في العالم الحديث لأنه في الواقع لا توجد خاصية من خصائص الحياة ليست حصينة على توقع التغير وتبعا لذلك فإن انتشار التكنولوجيا المادية بسرعة وتلاحق الاستراتيجيات الاجتماعية يساهم في سرعة التغير

الاجتماعي [1] الذي قد لا تستطيع الأسـرة كبنـاء راسـخ وتقليدي أن تتحمله إلا إذا كانت هناك مرونة فائقة يتحلى بها الأفراد ويستوعبون مشاكل العصر قبل أن يحدث الانهيـار وتنتشر مزيد من الأزمات.

## مفهوم التغير الاجتماعي:

اهتم علماء الاجتماع بموضوع التغيـر الاجتمـاعي وأصبحت مفاهيمه متعارف عليها حيث يعد التغير الاجتماعي من الظواهر التي لازمت الإنسانية منذ فجر التـاريخ ومـن البديهيات أن يصبح التغير الاجتماعي إحدى السنن المسلم بها والدالة على تفاعل أنماط الحياة على اختلاف أشكالها [2].

لتحقق باستمرار قيما جديدة يشعر في ظلها الأفـراد بالتجديد ولكن أحيانا يحدث ما يسمى باللاتوازن وقد يصـل ذلك اللاتوازن إلى حد الأزمات. والواقع أن عجلـة التغيـر ليست مجرد إضافة ميكانيكية أو إقصـاء لـبعض الأنمـاط والسلوك لظهور أخرى جديدة وإنما هي إلى جانب ذلك قـد تصبح تعديلا كيفيا لمسافات ثقافية ويـؤدي اطـراد التغيـر بصورة غير متوقعة أو غير ملائمة للبناء الاجتمـاعي إلـى حدوث أزمات داخل المؤسسات الاجتماعية ويحكون وقعهـا

قويا ومزلزلا خاصة على الأسرة كنـواة أولـى للمجتمـع وكحافظة للقيم والتقاليد.

"وقد بدأ علم الاجتمـاع مـع محـاولات August comte وغيره من علماء القرن التاسع عشر فـي تفسـير أسباب التغير الاجتماعي ومساره والذي وجد فـي تغييـره الدرامي في كل من الثورة الفرنسية فـي فرنسـا والثـورة الصناعية في انجلترا حيث كان يسيطر على علم الاجتمـاع في القرن التاسع عشر البحـث عـن نظريـة فـي التغيـر الاجتماعي أو الديناميكا الاجتماعية والتي ينبغي أن تكشـف عن قوانين حركة المجتمعات، كذلك اهـتم كونـت بظهـور المجتمع الرأسمالي والثورات الاجتماعية التي صاحبته بمـا في ذلك النمو الحضري والسياسة الصناعية وحراك النـاس والأفكار وكان لكل ذلك الفضل في التحليـل السسـيولوجي للتغير في حين أن نظرية "كارل ماركس" Karl Marx قـد أثارت الكثير من الاهتمام وهي تقوم على أساس أن أسـلوب الإنتاج بما تحتويه من تكنولوجيـا والعلاقـات الاجتماعيـة الناشئة عنه يمثله البناء التحتي الذي يقوم عليه البناء الفـوقي المكون من النظم الأخرى سياسية ودينية وعائليـة وعنـدما

تتقدم التكنولوجيا تظهر أساليب إنتاج جديدة. ومن هنا تنشـأ بالتالي طبقات جديـدة تسـتخلص لهـا القـوة الاقتصـادية والسياسية من الطبقات الحاكمة القائمـة فعـلا كمـا يـرى "ماركس" أن تاريخ كل الطبقات القائمة يمثل "تاريخ الصراع الطبقي" [٣]. حيث يحدث التماسك الاجتماعي لطبقة جديدة.

وليس للتماسـك الاجتمـاعي Social Cohesion معنى متفق عليه ولكنه يستخدم عادة بصورة رسمية للإشارة إلى مواقف يرتبط فيها الأفراد الواحد بـالآخر مـن خـلال مجموعة من الالتزامات الثقافيـة والاجتماعيـة المشـتركة. وتستخدم التماسكية Cohesiveness كصفة تتصـف بهـا الجماعات الصغيرة وهي تتضـمن أولا: جاذبيـة الجماعـة لأعضائها. ثانيا: القوى التي تدفع الأعضاء ليظلوا أعضـاء فيها. كما أن هناك استعمالا أخر مستمدا من بحث دور كايم في كتابيه "تقسيم العمل الاجتماعي" و "الانتحاري وهو يرى" إن التماسك صفة للجماعات والتنظيمات والمجتمعات وتؤثر في أنماط مختلفة من السلوك. كما أن بعض علماء الاجتماع أدخلوا المصطلح للإشارة إلى الجماعات الكبيرة والصـغيرة على السواء التي تتميز بثلاث مميزات رئيسية هي:

أولا: التزامات الفرد بالمعايير المشتركة.

ثانيا: القيم والاعتماد المتبادل الناشئ عن المصـلحة المشتركة.

ثالثا: توحد الفرد بالجماعة [٤].

## مفهوم الأسرة:

يشير علماء الاجتماع لمفهوم الأسرة بأنها تتكون من الزوج والزوجة والأبناء حيث تقوم بمجموعة من الوظـائف الأساسية أهمها الاستمرار والبقاء من أجـل حفـظ النـوع ووجود المجتمع بفعل التكاثر، ومن خـلال وجـود الأسـرة تتخلق وظيفة أخرى تعتبر هامة لنمو المجتمعات وهي تنشئة الأبناء [٥].

ويتضمن كذلك مفهوم الأسرة العلاقات الحميمة حيث تتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم تلك العلاقـات مـن خلال رباط الزواج والشرعية القانونية للزوج والزوجة كذلك رباط الدم بالنسبة للأبناء [٦].

ويعتبر مفهوم "بيرجس ولوك" والذي جاء في كتابهما (الأسرة The Family 1953) من أكثر المفاهيم المنتشـرة فقد أوردا أن الأسرة هي جماعة من الأفراد يربطهم الزواج

والدم أو التبني ويؤلفون بيتا ويتفاعلون سويا ولكل دوره المحدد كزوج أو زوجة وكأب وأم، أخ وأخت مكونين ثقافة مشتركة [٧].

وهناك عديد من الأبحاث التي رصدت تأثير التحولات الاجتماعية على الأسرة مثل دراسة "مث شيري، مولين ماتسمورا "Matt Cherry, Mollen Matsumura وحاولت تلك الدراسة التوصل لأهم التغيرات والتحولات الثقافية والتكنولوجية والاقتصادية والتي كان لها تأثير كبير في الأسرة في كوبا [٨].

## المشاكل الداخلية:

ظهرت أهمية معالجة صراعات الأسرة من حيث بنائها ووظائفها ومشاكلها في العصر الحديث نتيجة عدة عوامل أهمها الثغرات التي تحدث في كثير من مجتمعات العالم بسبب التحول التدريجي أو السريع في نمط الحياة. الأمر الذي فرض أنماطا جديدة من العلاقات داخل الوحدة الأسرية وقد كان من نتيجة تلك التغيرات المصاحبة في الأدوار والمراكز ظهور بوادر التفكك ونشوء عديد من المشاكل الأسرية، كذلك ينظر العلماء إلى التفكك الأسري

باعتباره أمرا متصلا يحدث في المجتمع الكبيـر، ذلـك أن اتجاهات وقيم ومعايير أعضاء الأسرة تعكس ما هو موجـود في ثقافة المجتمع الكبير [٩]. كمـا أن التكنولوجيـا الحديثـة غيرت في اتجاهات الأسرة وزادت الاتجاهات المستقلة وقـد تحول اهتمام العلماء والباحثين على دراسة المشاكل الأسرية نظرا إلى ارتفاع معدل الطلاق والانفصال وانتشرت الأسرة التي تعمل فيها المرأة وتصبح مستقلة كذلك أخـذت تواجـه الأسرة مشاكل عديدة مثـل غيـاب الأب والفقـر والبـؤس والهجر[١٠].

ويعتبر المناخ الأسري هو المصدر الأساسي لإشباع حاجة أفراد الأسرة ففي الوقت الذي يتعـرض فيـه الطفـل لعملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي وفقـا لأسـاليب معينـة لتتكون الشخصية لينمو أيضا الوالـدان كراشـدين ليحققـا أهدافهما من الحياة الزوجية في مناخ صحي سواء داخـل أو خارج المنزل، ويحدث التفاعل داخل الأسرة سـواء تفاعـل الوالدين مع بعضهما البعض أو مع الأبناء وعامة قد يسـفر هذا التفاعل عن تعاون وقد يؤدي إلى المنافسة وقـد ينتهـي بالصراع بين أفراد الأسرة بكل ما يترتب عليه من عـدوان

مادي مثل إلحاق الأذى بالآخرين أو عدوان لفظي مثل السباب أو الوقيعة أو عدوان سلبي مثل العزوف عن مساعدة الآخرين [١١].

في حين أن من وظائف الأسرة نمو أفرادها بدنيا وعقليا ووجدانيا واجتماعيا بحيث يحققون لأنفسهم التوافق الفعال في جو يسمح بالنمو الصحي [١٢].

ومع ذلك فقد كشف علماء الاجتماع عن أثر التغير الاجتماعي على الإنسان حتى أصبح الإنسان المعاصر أطول عمرا وأقل أمنًا وأصبحت مستويات المعيشة أكثر ارتفاعا وأقل استقرارا وأصبحت الدول أكثر استقلالاً لكنها مهددة بالتدمير الشامل وقد اتفقت الدراسات على أن التغير السريع قد حطم المصالح والروابط والأيديولوجيات القديمة وبقدر ما نجحت هندسة الإنتاج وإدارة هذا الإنتاج في رفع الكفاية الإنتاجية والبرمجية الرأسمالية إلا أنها فشلت في مواجهة المخاطر الاجتماعية ذلك لأن الرأسمالية ركزت كل جهودها على تطوير وسائل الإنتاج المادية ورفع الكفاية الإنتاجية لرأس المال المادي والبشري وأهملت تماما الجوانب الإنسانية [١٣].

إن التغير الجوهري الذي يبدو أنه حدث في المجتمعات الحديثة وأثر على المجتمعات النامية يتطلب إعادة دراسة، كذلك إعداد وتدريب وصناعة متأنية للقرار حيث من الواضح أن الأنماط والوظائف والعلاقات الأسرية قد أصابها كثير من التغيير وأنه قد ظهر أكثر من طراز داخل إطار الصور العائلية وذلك بخلال الأحداث البسيطة التي تطرأ فجأة ودون مقدمات حتى أنه أحيانا يحدث تناقض ما بين الرؤية العقلانية والصور الذهنية للإنسان الحديث.. والذي أصبح مشوشًا ومضطربا ومغتربا ومندفعا دون دعم من روابط أو ضوابط أو أعراف أخلاقية قوية إلا من بعض المحاولات الفردية.

إن معظم المجتمعات الصناعية وتلتها المجتمعات النامية قد اتبعت نموذجا لما أصاب الأسرة من تغيير حيث أصبح هناك عدد من الأطفال يعيشون فترات طفولتهم داخل أسرة يرعاها أحد الأبوين فقط سواء بسبب تجنب الزواج أو بسبب ارتفاع نسبة الطلاق وذلك يحدث داخل الدول الغربية أو بسبب سفر أحد الآباء للعمل في خارج البلاد وغالبا ما يكون الأب، أو بسبب الطلاق وذلك يحدث أيضا داخل الدول

النامية. وبذلك تكون النشأة الأولى مختلفة عن تلك النشأة التي يفترض فيها وجود كل من الأب والأم.. وفـي المجتمعـات الغربية هناك تأخر متزايد في سن الزواج مصحوبا بـدخول في علاقات جنسية أو زواج ثم طلاق وكل ذلك له تأثيراتـه المؤلمة، في حين أنه أصبح أيضا متوسط سن الـزواج فـي الدول النامية أكثر ارتفاعا مما يؤدي ذلك إلى علاقات مغايرة لما تعود عليها كل فرد في حياته وحده داخل بيـت عائلتـه لفترة طويلة [١٤].

ثم إن هناك التحولات الجذرية في العلاقات الزواجية ذلك مع التأكيد على نوعية العلاقة مع الشـريك أكثـر مـن التأكيد على أداء أدوار معينة، وأن تزايد حالات الطلاق لـه أيضا تأثيره على العلاقات داخل الأسرة ففي إطـار الوثيقـة التي تفترض استمرار الحب الزوجي يتم فصل العلاقات على نحو مغاير.. ثم تنشأ علاقات جديدة بتصـورات جديـدة لا يفترض نجاحها مع الشريك الجديد. ثم إن ثمة تحولا جـذريا يجب دراسته بعناية فيما يختص بالعلاقات الأسرية ألا وهـو انفصال النساء عن ذلك المجال الخاص بالأسرة وهو يشـبه انفصال الرجال عن حياتهم التقليدية فـي غضـون الثـورة

الصناعية، وكان لذلك أثران أساسيان أولهما: أنه فتح المجال لإمكان وجود احتكاكات جديدة في إطار أوضاع جديدة للمرأة وكذلك للرجل وذلك يهدد بكشف مواطن الضعف في علاقـة الزواج وثانيهما: أنه غير من طبيعة العلاقات الحميمة داخل إطـار الكيـان الأسـري سـواء للشـريكين نفسـيهما أو لأطفالهما[١٥].

## العنصر الاقتصادي:

تعتبر المادة من الدعامات الأساسـية لتقـدم الـدول والشعوب اقتصاديا وبدونها لا يمكن تحقيق التغير المنشـود حتى لو توافرت باقي عناصر التغير، ويقاس تقدم الدول ليس بما يتم استهلاكه مـن منتجـات وخـدمات تسـتخدم فيهـا التكنولوجيا المتقدمة في تصنيعها وتجهيزها بالخارج بل بمـا لدى هذه الدول من قـدرات إنتاجيـة لأفرادهـا لاسـتيعاب وتطويع التكنولوجيا. وتظهر الدراسات العلمية الاجتماعيـة للأمة العربية عامة المعدلات العالية للاسـتهلاك والتـي لا تساير إنتاج العالم العربي بل وترتفع تلك المعدلات بالنسـبة للمنتجات الكمالية والتي تسمى رفاهية مما يؤثر على تطلعات الشباب ويجعله يتهافت على كل ما هو مستورد.

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى حالة سفر الآبـاء، ونأخذ مثالاً على ذلك في ج.م.ع حيث تزداد أعـداد الأسـر التي تديرها المرأة الأم نتيجة غياب الوالد لفتـرات طويلـة لتحقيق ما تطمح فيه أسرهم من أجهزة أو سيارة أو الانتقال لمنزل أوسع، وقد ينتج ذلك أزمات أسرية قد تصـل أحيانًـا لتشويه صورة الأب في الغربة، فأحيانا هو عضو مرغـوب فيه وهو بعيد لأنه مصدر للإنفاق الاقتصادي ولكنـه غيـر مرغوب فيه أسريا وداخليا عند عودته لأن ممارسته لسلطته كأب خاصة في الأجازات تكون مرفوضة مـن الأم ومـن الأولاد الذين تعودوا على حرية القرار وأيضا بالنسبة لـلأم التي تحولت لقائد منفرد بقرارات الأسرة.

ولا شك أن وجود منظومة عربية لاسـتيعاب القـيم الوافدة تكنولوجيا وإعلاميا واقتصاديا وسياسيا أو تطويعهـا لتلائم عادات وتقاليد وطريقة حياتنا سيصبح مفيـدا للغايـة ويجنب الأسرة العربية أزمات قد تؤدي للإطاحة بكثير مـن القيم الراسخة بل بالنظام العائلي بأكمله وهنا يتأثر الاقتصـاد والسياسة ويصبح من الصعب وجود توازن واستقرار داخل المجتمع العربي.

تساهم مشاكل الزيادة السكانية والبطالة فـي تفسـخ روابط الأسر في مصر حيث يشير تقريـر خطـة التنميـة الاقتصادية والاجتماعية لعام ٢٠٠٤/٢٠٠٣ إلى أنه في عام ٢٠٠٢ وعلى الرغم من انخفاض معدل النمو السكاني إلـى ٢,١% والمواليد إلى ٢٧,٥ في الألف والأطفال الرضع إلى ٤٤ في الألف وارتفاع نسبة استخدام وسائل تنظيم الأسـرة إلى نحو ٥% إلا أن عدد السكان سوف يستمر في الزيـادة خلال العقدين المقبلين بسبب قوى الدفع الذاتية للسكان الناتجة عن الخصوبة العالية التي سادت في الماضي والتي تسـببت في ارتفاع نسبة السيدات الشابات في سن الحمل حاليا والذي يضيف إلى التعداد مليون ونصف نسمة سنويا [١٦].

وإن الزيادة السكانية التـي تلـتهم الـدخل القـومي المصري تزيد من مشكلة البطالة وهي من أهم التحديات التي تواجه مصر في الوقت الحالي حيث إن تزايد البطالة يعنـي إهدار الموارد البشرية وتهديد الاستقرار الاجتمـاعي كمـا يؤدي إلى انعكاسات سلبية على راغبي الزواج من الشـباب وعلى هؤلاء الذين لا يملكون مصادر أخرى للـدخل سـوى قدرتهم على العمل لذلك تستهدف خطة ٢٠٠٤/٢٠٠٣ زيادة

قدرة الاقتصاد المصري وخاصة قطاع الأعمـال الخاصـة والمشروعات الصغيرة على استيعاب الزيادة في قوة العمـل والسحب من رصيد البطالة بحيث ينخفض عدد المتعطلـين من نحو ١٩٩٧ ألف متعطل عام ٢٠٠٣/٢٠٠٢ إلـى نحـو ١٩٧١ ألف متعطـل ٢٠٠٤/٢٠٠٣ وأن يـنخفض معـدل البطالة من نحو ٩,٩% عام ٢٠٠٣/٢٠٠٢ إلى نحو ٩,٥% عام ٢٠٠٤/٢٠٠٣ (١٧).

وقد تناول Max Weber في مؤلفه المناهج المقارنة بين المعتقدات الكبيرة وتأثيرها على الشـروط الاقتصـادية Economic Condition وكذلك المؤسسـات الاجتماعيـة حيث ركز على نموذج التنمية الرأسمالية الغربية وعلاقتهـا بالأخلاق البروتستانتينية باختياره نموذجـا فريـدا عـن أي نموذج آخر على مر العصور وأكد علـى أهميـة التوجيـه القيمي. وأوضح أن السعي نحو تحقيق الربح ليس هـو مـا يميز المجتمع الحديث واقتصادياته وإنما كذلك سيادة الأسلوب الرشيد في الإنتاج وسيادة النمط البيروقراطي فـي التنظـيم الاجتماعي. ويرفض "فيبر" التأكيد على العوامل الاقتصـادية والجوانب المادية للبناء الاجتماعي ودوره المحوري في قيادة

التفاعل والتطور الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى رفضه الحتمية الأحادية Unilateral determination للمجتمع من قبل أي عنصر من عناصره سواء أكان اقتصاديا أو سياسيا أو دينيا إذ يؤكد أن العلاقة السببية في علم الاجتماع ذات طابع جزئي واجتماعي وبذلك ينتفي أي طابع إلزامي حتمي[١٨].

و"فيبر" لم يبحث الاتجاهات النفسية للأحداث الاقتصادية وهو لا يغفل الأهمية الأساسية للعامل الاقتصادي ولكن القيم والثقافة هي الأساس في نظريته، أما "كريستوفر" فيرى أن التأثير الدينامي للثقافة يظهر في دفعها بالقوة القائدة في حركات التغير الاجتماعي social Change [١٩].

وقد تغلبت القيم المادية على علاقات الأفراد وأصبحت المصالح هي التي تحدد شكل العلاقات وأصبحت قيمة الكسب السريع هي الإطار الحاكم في المجتمعات وسادت قيم الاستهلاك الترفي ومن الشواهد الواقعية الدالة على ذلك اختفاء ظاهرة الزيارة بين الأهل والعائلات والأصدقاء والتي كانت تجسد علاقات الود والتواصل بين الأسر وأدت التغيرات والتحولات في المجتمع إلى انحسار

علاقات الجيرة إلى الحد الذي أصبح لا يعرف الجار أسـماء جيرانه في المسكن وحدث ما يسمى بانغلاق الأسـرة علـى نفسها وكانت تلك العلاقات مجالا للتنفـيس والتـرويح عـن النفس [٢٠].ولقد كانت سيطرة الذكور على سياسـة الأسـرة والحياة العامة برغم كل شيء بمـأمن مـن الأذى، إلـى أن أصبح بإمكان النساء أن يقتحمن الحياة الاقتصادية كذلك بـدأ الشكل الأسري الذي صيغ خلال القرن التاسع عشر والـذي بني على التحديد المتعمـد لعـدد الأطفـال وأبقـى علـى الأيديولوجية الأمومية التي أبقت النساء في البيت وأخضعتهن للسلطة الاقتصادية الذكورية في التغير وأصبحت تلك السلطة الذكورية مهددة نتيجة التغيرات الاقتصـادية والاجتماعيـة وتغير دور النساء حيث كان احتضان الأسرة في الماضـي مرتبطًا بالحب الرومانسي والكيان العائلي وكان ذلـك فـي الأغلب واجبا نسويا [٢١].

كذلك سمحت التغيرات المادية للنسـاء أن يرسـخن دعائم المطالبة بالمساواة مع الذكور من حيـث إن أنصـار المساواة بين الجنسين يعتقدون أن الأسـرة مدمجـة داخـل منظومات أشمل للسلطة الاقتصادية والسياسية ويتضح ذلـك

من خلال مصالح كل عضو من أعضاء الأسرة فأحيانًا تكون متباعدة وأحيانًا أخرى تكون متنـافرة وأحيانـا متصـالحة وأحيانا متصارعة.

ومعنى ذلـك أن الأحـوال البنيويـة الاجتماعيـة، كالاستقلال الذاتي المتنامي والاستقلال المالي للنساء والقدرة على ضبط معدل الإنجاب فرض واقعا جديدا خاصة بالنسبة للرجل وهو ضرورة بذل جهد أكثـر وضـوحا للعلاقـات الحميمية الأسرية.

وتشير "كارول جليجان Carol Gilligan" إلـى أن النساء يتناولن القضايا الأخلاقية من زاوية أخلاق العنايـة أو المسئولية وهذا التوجه نحو المشكلات الاجتماعية إنما يشـير إلى أن النساء يشكلن هويتهن من خلال أنشطتهن التي تسعى للحفاظ على الانتماء للآخرين في حين يقترب الرجـال مـن الآخرين من منطلق السعي إلى بلوغ التكافؤ ومـن زاويـة الموضوعية والاستقلال الفكرية.. ورغم كـل شـيء تـرى "جليجان" أن الأسرة تعد غاية في الأهمية في سبيل المحافظة على شعور الأطفال بآدميتهم فيتوفر الرعاية والحب والتغذية ويحدث ما يسمى بتوسيع إطار الهوية الإنسانية وتنمية أفضل

القدرات، فالطفولة التي تقوم على الحب والرعاية تخلق لدى الأطفال شعورا بالمشاركة الوجدانية وبدون هـذه الصـفات يفتقد الأطفال عندما يكبرون مقدرتهم على تحقيـق الهويـة الإنسانية.. من هنا تكون الأهمية في تـدعيم دور الوالـدين على مستوى المجتمع ككل.. وذلك بمقاومة القوى المختلفـة التي تحدث تآكلا أو افتقارا للروابط الإنسانية الأسرية حيـث إنه بمجرد تعرفنا على أهمية الأسرة يمكن الانتقال للمجـال العام لضمان أن تتحول التجربة الأسرية المجتمعية إلى بيئـة يجد الأفراد فيها ملاذًا لحياة إنسانية كريمة تحفظ لهم كرامتهم وتحفزهم على توجيه قدراتهم بشكل سليم [(٢٢)].

بالإضافة لذلك فإن انخراط النسـاء والرجـال معـا لإيجاد صيغة مشتركة لتحقيق الغايات فـي الحيـاة المدنيـة تجعل هناك مشاركة كاملة للمرأة في الحياة العامة في الوقت الذي تعزز فيه مواقف الرجال ومن هنا فإن النظرة النسـوية التي لا تتسم بالتفتح فيما يخص إمكانية تغيير الرجال والنساء هي رؤية مغرقة في العدمية حيث إنه من المهم أن تعتـرف تلك السياسة بنماذج التبادلية الحقيقية.

## العنصر الثقافي:

إن لكل مجتمع جماعات اجتماعيـة كبـرى وهـذه الجماعات تتطور وتعمل من نفسها على خلق قاعـدة تمثـل حشودا من المثقفين. في هذه الجماعة التـي تـربط هـؤلاء المثقفين عضويا Organically فمثلا البرجوازيـة الناشـئة اجتماعيا، سياسيا، اقتصاديا، فضلا على تلـك البرجوازيـة تتطلب أشخاصا قادرين على تنظيم هذا المجتمع فـي الخـط المؤيد لاتساع الفكر المطلوب. بالإضـافة إلـى دور هـذه الجماعة الكبرى في خلق هؤلاء المثقفين الذين يرتبطون بها عضويا ويعمل على خلق جماعة اجتماعية جديدة تجد بالفعل قاعدة تقليدية من المثقفـين تـرتبط بالجماعـة الاجتماعيـة الأقدمية وكذلك تملك درجة معينة من التـأثير الأيـديولوجي Ideological Influence على جميع الطبقات الاجتماعيـة الأخرى [٢٣].

ينتقد "توينبي" بشدة ضيق أفق الغرب ووقاحته التـي تتبدى في الأوهام المتمركزة حول الذات بأن العـالم يـدور حوله وأن التقدم حتمي نحو هذا العالم ويرى أن كل حضارة

تكتب تاريخها الإنساني وربما كان ذلك ينطبق على الغـرب أكثر مما هو بالنسبة لأية ثقافة أخرى.

فالاستعمار في هذه البلاد المتخلفة سـهل الإسـراع بتنمية الغرب باستبعاد الشعوب الضعيفة لـذلك مـن غيـر الحقيقي أن يكون التقدم الغربي نتاجا لثقافته حيـث إن هـذا القول يغفل سنوات الاستعمار الذي كسبت فيه بريطانيا وعدد من الدول الأوروبية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية لكي تخلق التنمية في الاقتصاد وأن تكون نتاجا لثقافته ومجهـوده وحده ولما يسمى بالعالم المتحضر Civilized World (٢٤).

وإن مصادر الثقافة والتنشئة وكمؤثرات خارجية على الأسرة عديدة منها الإعلام وعندما نشير إلى الإعلام فيكـون التليفزيون في المقدمة وذلـك مـن واقـع المسـح العلمـي للدراسات الاجتماعية حيث أصبحت ثقافـة الصـورة هـي المتربعة على عرش الفكر فالتليفزيون والكمبيوتر والشاشات أصبحت لها دلالة قوية على ذهن إنسان العصر الحديث.

ويتعرض "روبـرت ميرتـون R. Merton" إلـى موضوع عدم الالتزام الثقافي خاصـة فيمـا يمـس القـيم والمعايير ويكون نتاج ذلك انهيار محكات السـلوك السـوي

والملائم في المجتمعات الحديثة كما أن بناء الضـبط يكـون ضعيفًا لكونه يعكس ثقافة ضعيفة ومن هنا فالإنسان عنـدما يفقد ويفتقر للقيم والمعايير التي تكـون بالضـرورة ملزمـة للجميع فإنه يعيش في نسق يعاني من حالة تسودها فوضـى تلك المعايير التي يجب أن تكون ملزمة ولكنها في الحقيقـة هي أصبحت منهارة ما دامـت قـد افتقـدت قـوة الإلـزام والالتزام[٢٥].

ويقسم "ميرتون" المشكلات الاجتماعية إلى نـوعين: يتمثل النوع الأول: فيما أطلق عليه المشـكلات الاجتماعيـة الظاهرة، وهي تلك المشكلات التي ظهـرت علـى سـطح الحواس والمدركات بحيث إن العلماء والقائمين على تحديدها قد أدركوا ماهيتها الضارة بالنسبة للمجتمع، ثم يسعون إلـى الحد منها والقضاء على العوامل والأسـباب المؤديـة إلـى ظهورها وانتشارها بينما يتمثل النوع الآخر في المشـكلات الاجتماعية الكامنة وهي تلك المشكلات الموجودة بالفعل في الواقع ولكن لم يدرك ذوو السلطة بعد أنها ظـاهرة معتدلـة تشير إلى حالة من فقدان المعايير أو أنهـا تتعـارض فـي وجودها مع نسق القيم الاجتماعية المتفـق عليهـا، وتكـون

المشكلة الاجتماعية الكامنة عند "روبرت ميرتون" موجـودة وغير موجودة في نفس الوقت، أي أنها موجودة في الواقـع ولكن لم يدركوا مدى إشكاليتها وخطورتها على المجتمع[٢٦].

لقد عانى المجتمـع المصـري مثـل غيـره مـن المجتمعات العربية من حالة تضارب بـين تيـارات ثقافيـة متعددة لعل أبرزها التيار الداعي إلى التغريب وعزل الإنسان عن قضاياه وذلك لإخضاعه نهائيا للنخب المسـيطرة علـى القرية الكونية بالإضافة إلى تفضيل القيم الفرديـة والماديـة والأنانية وأسلوب الخلاص على القيم الروحية والجماعيـة، وطبيعي أن ينتهي مثل هذا التوجه إلى ضعف قيمة الانتمـاء للوطن وبالتالي للأسرة والعزوف عن المشاركة إلا إذا كـان بغرض النفع. حتى بالنسبة للشعائر الدينية والتي اقتصـرت على الممارسات دون الالتفات إلـى الواقـع الـذي يعيشـه المحتاجون كما تراجع تمسك الفلاح بأرضه الزراعية بسبب غلاء تلك الأراضي التي تتحول إلى عمارات من الناطحات في الوقت الذي يعاني فيه هؤلاء الفلاحون من الغلاء، وبذلك تعد العولمة أحد التحديات المطروحة أمام المجتمع، حيث إنها تحطم قدرات الإنسان وتجعله مستهلكًا أكثر منه منتجا، كمـا

حدث تراجع لدور العملية الثقافية وقد أدى ذلـك لاغتـراب الإنسان المصري وخضوعه لحضارة السوق وتهميش قيمـه واستبدالها بقيم أخرى لا ترتبط بخبراته وترسيخ خضوعه في ظل شعارات تثير الرغبة فـي المحاكـاة والتغيـر لمجـرد التغير(٢٧).

وكاستمرار لثقافة الصورة وتأثيرها كثيرا ما تكـون إعلانات التليفزيون مادة لبث اتجاهات سـلبية تزيـد فيهـا مساحة العري والخلاعة تؤازرها في ذلك الأغاني التي يطلق عليها تلك الأيام أغاني شبابية، وذلك بجانب بعـض الأفـلام والمسلسلات الأجنبية.

كما يتم غرس العنف والقسوة سـواء فـي نفـوس الصغار أو الكبار إنه هجوم آخر مدمر يؤدي إلى تحـولات في مجرى الأسرة التي عرفت لسنوات طويلة باستقرار القيم واحترام وجود الأب كسلطة داخل المنزل كذلك التقيد بمكانة الأم ودورها في الرعاية والتربية، وعدم قدرة الأبناء علـى التخلص من هيبة الوالدين.

كذلك إن استغلال المرأة كسلعة وجسد في الإعلانات التليفزيونية يسقط تلك الهيبة ويجعل تعامل الأبناء مشـفوعا

بالجرأة بعيدا عن الآداب الأسرية التي مـن المفـروض أن تغلف العلاقة العائلية. وقد تحيرت عديد من الأسر في الكيفية التي من خلالها يمكن بها تحصين الأبناء في مواجهة ما تبثه القنوات المحلية بالإضافة لما تبثه الأطباق التليفزيونية.

كذلك انتشرت في السنوات الأخيرة بعض المواد التي تبث مشاعر مثل "الخوف" "القلق" "عدم الأمان" والتي قـدمت بشكل مترابط خاصة في التليفزيون وفي حين امتد النقـاش عن أوجه الفائدة من تلك المواد أصبحت صـورة متكـررة، تعرقل دور الآباء والأمهات داخل الأسر بالإضافة إلـى أن منطق المادة هو الوحيد الذي يكسب. ويبرز مـرة أخـرى معنى التطور والتغيير ويظهر ذلك في النظرية الاجتماعيـة في أعمال جيدنس Giddens ١٩٩٠ ودوجلاس Douglas عام ١٩٩٢ [٢٨].

يشير "أوبريان وجيللز" أنـه إذا انخفضـت مهـارة الزوج عن الزوجة فهو يحاول أن يضـفي الشـرعية علـى سلطته فقد يقسو على زوجته. وإن التـوتر المتزايـد الـذي يعاني منه الزوجان يؤدي إلى وجود مشـاعر سـلبية مـن

الجانبين وتظهر في عدم الرضا وتتحول إلى تبادل الاتهامات وبالتالي مزيد من الإيذاء والأفعال اللاإرادية [٢٩].

وتشير إحصائيات اليونسكو إلى أن مصر وسـوريا تستوردان ٤٣% من البرامج التليفزيونية التي تبثها وتزيـد النسبة في الجزائر ولبنان حتى تصل في البـرامج الثقافيـة بوجه خاص إلى أكثر من ٧٠% من إجمالي ما يستورد مـن الغرب الأمريكي [٣٠].

وقد أكدت الدراسات الاجتماعية أن لوسائل الإعـلام تأثيرا على الأبناء يفوق تأثير الآباء والبعض الآخر ذهب إلى أبعد من ذلك وأشار إلى أن التليفزيون هو المعبد أو الكنيسة للمجتمعات الحديثة ويشـير "جوسـو ميـروفيتش Joshu Meyrowityz" إلى أن العناصر المتشابكة بطبيعتها للمكان قد تمزقت عن طريق وسائل الإعلام الإلكترونية مما سـاهم في إنقاص الشعور بالهوية الإقليمية لدى الأفـراد وبالتـالي للأسرة [٣١].

## انحسار زواج الشباب وارتفاع معدل الطلاق:

قد يساهم تعليم المرأة وعملها في ارتفاع سن الزواج للجنسين ويصل إلى انحسار زواج الشباب وتحوله لظـاهرة

جديدة على المجتمع العربي ففي مقابل العلاقة الإيجابية لعمل المرأة ومشاركتها حيث تبدو في إقبال النساء على الرغبة في العمل بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام تسـاند ذلـك المبـدأ وتوضح الفوائد التي يعود العمل بها على المرأة وأسرتها إلى أنه قد توجد سلبيات على الأسرة إذا لم تراعيها المرأة نفسها وتراعيها الدولة ويؤدي ذلك إلى وجود كثير مـن الأزمـات مثل شعور المرأة الزائد بالاستقلال ورفضها الزواج فتضيع عليها كثير من الفرص ويصبح من الصعب تكيفها مع الحياة الزوجية.

إن دعوة تكييف التربية لتساير التحـولات الدوليـة ليست دعوة جديدة – ولعل أشهرها دعوة التربية مـن أجـل السلام العالمي، التي انطلقت بعد الحرب العالمية الثانية. وفي منتصف السبعينيات نشط الجنوب أو الكتلة الثالثة لصـياغة نظام اقتصادي عالمي جديد أكثر عدلاً وإنسانية وكـان مـن المنظور أن النظم التعليمية تشكل آلية لمساندة وإنجاح هـذا النظام ما دعت إليه اليونسكو، التعلـيم للجميـع – العلـوم واستخداماتها في التنميـة – وضـع السياسـات التعليميـة وتطبيقاتها – التعليم والتدريب والمجتمع – ولكـن يبـدو أن

تيار العولمة كان أقوى من أي برامج فأطاح بالقائمين علـى تلك المقولات التربوية العلمية خاصـة أن الطـرح المـادي الاقتصادي أصبح أكثر فاعلية وجاذبية حتى للمؤمنين بالفكر المثالي لنشر التنمية والسلام حفاظًا علـى تـوازن الأسـرة والمجتمع.

فإذا ما تمكنت الأسرة من حفظ القيم فإن هذا يشـكل لدى الجماعة شعورا بالتضامن حيث لا تقتصر مهمة الأسرة على التنشئة في مرحلة الطفولة فحسب بل تستكمل مهمتهـا في مراحل العمر المختلفة فتقوم بشكل مستمر بـدورها فـي ضمان استمرارية أثر التنشئة الأولى وحفظ منظومـة القـيم الثقافية وإن كانت هناك بعض الاتجاهات التي تحاول انتزاع القداسة عن مكونات الأسرة كمنظومـة ووحـدة اجتماعيـة راسخة، وإذا كانت الأسرة ما تزال تدرس في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا فإن هذه الدراسة تنطلق من كـون الأسـرة كوحدة ما زالت قائمة على أرض الواقع برغم ما يثار مـن إمكانية اختفائها من الدراسات الاجتماعية إذا اختفـت مـن الحياة الغربية وإذا ظل المجتمع الغربي مرتبطًا بما هو كائن لا بما يجب أن يكون [٣٢].

لقد أدت أزمة العدالة والتوازن الاجتماعي إلى قيـام أزمة ثقة بين المجتمع ومؤسساته وبين الشباب وأسره وأثـر ذلك على الانتماء والولاء حيث زاد الانجراف في تيار القيم المادية الجديدة بهدف المواءمة مـع الاحتياجـات واتسـمت التفاعلات بالنزوع إلـى التفاعـل مـع العلاقـات النفعيـة المادية[٣٣] وأدى ذلك إلى تهميش قيمة العلاقة البنائيـة بـين الأفراد مما انعكس بدوره على النسق القيمي الثقافي وتحولت العلاقات البنائية بين الأفراد مما انعكس بدوره على النسـق القيمي الثقافي وتحولت العلاقات الإنسـانية الحميميـة إلـى علاقات السوق وكلما زاد اغتراب الأفراد عـن مجـتمعهم انعكس ذلك على أسرهم وبالتالي على عملية التنمية والتطور المجتمعي.

إن الزواج من الأسـس المهمـة لتحقيـق السـعادة والاستقرار إلا أن ظاهرة تأخير سن الزواج إلـى مـا بعـد الدراسة الجامعية والحصول على العمل قد اجتاحت أعـدادا كبيرة من الجنسين حيث حدد القانون سن الـزواج بالنسـبة للفتيات ١٦ سنة وبالنسبة للفتيان ١٨ سنة ولكن هناك عديـدا من المشكلات التي تجهض إقبال الشباب على الزواج منها:

أ- عدم وجود وظائف تستطيع أن تكفي أعداد الشباب المتخرجين.

ب- ارتفاع أجور السكن بصورة لا تساير قدرات الشباب.

ج- الدخل المنخفض الذي لا يمكن معه إضافة مسئولية زوجة وأولاد وتكوين أسرة.

د- المغالاة في الشبكة والمهر وكذلك الإناث واستمرار الأفكار التقليدية من جانب أهل العروس مما يتسبب في فسخ الخطوبة وانهيار فكرة الزواج من أساسها.

وتشير دراسة "دياب" أن معدل سن الزواج للفتيات في مصر كان يتراوح في الثلاثينيات ما بين ١٤ – ١٨ ومقابل ١٧ – ٢١ في فترة الستينيات والسبعينيات ومن بداية التسعينيات بدأ المؤشر يتغير فوصل إلى ٢٢ سنة وربما يرتفع إلى سن ٣٠ سنة في حين يرتفع المؤشر في أواخر التسعينيات إلى سن ٣٠ سنة وقد يصل إلى سن ٤٠ سنة (٣٤).

تعتبر التغيرات غير الشخصية Impersonal Change هي مصدر للاضطراب والخلل في بناء

المجتمعات حيث يشعر الأشخاص أن حياتهم الخاصة عبارة عن سلسلة من المتاعب وأنه يوجـد وراء هـذا الإحسـاس بالمأزق تغيرات غير شخصية في بناء المجتمعات، ولكنهم لا يحددون – عادة – طبيعة الاضطرابات التي يعانون منهـا، ولا يعرفونها في حدود التغير التاريخي والتناقض النظـامي لأنهم لا يتمتعون بخاصية الرصد التي تعتبر ضرورية لفهـم الموقف المتبادل لكل من الإنسان والمجتمع، ولـيس لـديهم الوعي بما تحمله هذه الرابطة بين المجتمع والإنسـان مـن مغزى بصدد طبيعة موقفهم التاريخي، ووضعهم في المجتمع وأنواع صياغة التـاريخ History Making التـي تتعـين عليهم المشاركة فيها، ولا يتمكنون من تصحيح اضطراباتهم الشخصية بطرق معينة تتمثل في ضبط التحـولات البنائيـة التي تكمن وراء هذه الاضطرابات، وهناك تغيرات مأساوية Catastrophic Changes ترجع إلـى وقـائع تاريخيـة أصبحت الآن مجرد تاريخ مضى، ولذلك فإن التاريخ الـذي يؤثر في كل إنسان يعيش في الفترة الراهنة هو تاريخ العالم بأثره، ففي حدود هذه الفترة التي يمر بها العالم، تحول سدس

جنس البشر من حالة الإقطاع وحالة المجتمع المتخلف، إلـى حالة المجتمع الحديث والمتقدم والجموعي[٣٥].

وهناك ضرورة للتمييز بـين اضـطرابات الوسـط الشخصية Personal Troubles of Millieu وقضايا البناء الاجتماعي العامة Public Issues of social structure إذ إن "الاضطرابات" تحدث داخل شخصية Character الفـرد ذاته، وتقع في حيز علاقاته المباشرة مع الآخـرين، وهـي تتصل بذاته وبمجالات الحياة المحدودة التي يعيهـا بصـفة شخصية ومباشرة. أيضا ضرورة الاهتمام بـنظم المجتمـع السياسية والاقتصادية كأساس لصياغة أية مشكلة ووضـعها في موضوعها الصحيح، على سبيل المثال بالنسبة للـزواج، فمن المعروف أن داخل كل زيجة من الزيجات ربمـا يمـر الزوجان بتجربة اضطرابات، ولكن عندما يتحـول معـدل الطلاق في مصر خلال الأربع سنوات الأولى من الـزواج إلى ٢٥٠ حالة لكل ألف حالة، فإن هذا الأمر يعتبر مؤشـرا لقضية بنائية تتصل بنظامي الـزواج والأسـرة، وبـالنظم الاجتماعية الأخرى التي تصب فيها. وإن من المهم التعرف على "القيم – وتهديداتها، لصياغة قضايا الجماهير الكبـرى

والتي تؤدي للاضطرابات الشخصية، فمن أجل أن تصوغ القضايا والاضطرابات، يتعين علينا أن نسأل عن القيم التي كانت موضوع اهتمام وتقدير وإعزاز Cherished ثم صارت عرضة للتهديد Threatened وفي حالتي التهديد والتدعيم والتحولات يتعين علينا أن نسأل عن التناقضات الكامنة في البناء. ومن المهم استخدام المنظور الاجتماعي التاريخي الكبير Macroscopic لتفسير مشكلات العصر وأزماته، وهنا يشير "ميلر" إلى أن كثيرين من الباحثين أو العلماء، قاموا بتفسير القضايا الجماهيرية الكبرى، والاضطرابات الخاصة في حدود "الطب النفسي"، ولكن محاولتهم هذه ليست إلا وسيلة لتحاشي المشكلات الكبرى للمجتمع الحديث فلا يمكن تحديد مشكلات الفراغ مثلا دون تفسير لمشكلات العمل [٣٦].

ويؤكد جهاز التعبئة العامة والإحصاء إلى ارتفاع نسبة الطلاق من ٣ في الألف عام ١٩٩٠ إلى ٦ في الألف عام ١٩٩٩ مما يعني أن حالات الطلاق زادت بمقدار الضعف في العقد الماضي في حين تضاعفت أربعة أضعاف في العامين الماضيين مما يؤكد تأثير التغير الاجتماعي

ودوره في خلق الأزمات العائلية والتي قد تصل إلى انهيـار الأسرة والطلاق [٣٧].

ويشـير دور كـايم Durkheim إلـى أن النظـام الاجتماعي يوجد لإشباع الحاجات الاجتماعية ومن هنا فـإن الأنساق الأخلاقية في نظره لها وظيفة مهمـة هـي وظيفـة التنظيم الاجتماعي وأن كل مجتمع يعمل على تطوير نظامـه الأخلاقي ليتلاءم مع الوظيفة الحقيقية لبنائه الاجتماعي [٣٨].

ويعلل "دور كايم" ظاهرة الانتحـار فـي المجتمـع العضوي إلى الأزمات الأخلاقية التي تنتج من خلال ارتفاع مطامح الأفراد وعدم إحساس الفرد بوجود المجتمـع داخلـه والتخطيط القيمي والمعياري لدى الفرد [٣٩].

إذن من الضروري الاهتمام بالعلاقات بين أعضـاء الأسرة باعتبار أن ذلك يشير إلى مواقف من التفاعل داخـل البناء الأسري وبين أعضائها والنسق القيمي والذي يظهر في التفاعل الرمزي الذي يتم الاتفاق عليه ويصبح وسيلة التفاهم داخل الأسرة [٤٠]. رغم أنه لا توجد إحصائيات رسمية عـن العنف الأسري خاصة إسـاءة معاملـة الأبنـاء وضـرب الزوجات. ففي دراسة للمجلس القومي للسكان عـام ١٩٩٧

طبقت على سبعة آلاف زوجة في الريف والحضر أظهـرت النتائج أن ٣٥% من المصريات المتزوجات قـد تعرضـن للضرب من قبل أزواجهن مرة على الأقل في زواجهن وأن المرأة الريفية تتعرض للضرب أكثر من المرأة الحضرية في حين أنه قد تبين أن الزوجات اللاتي قتلن أزواجهن كان لهن تاريخ من العنف. ليس فقط مع الـزوج ولكـن غالبـا مـع عائلاتهن مما يؤكد أن الأسرة لها دور في انتشار العنـف أو عدم انتشاره وتعد الغيرة والخيانة الزوجية من مسببات قتـل الشريك بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية المتأزمة وما نتج عنها من تداعيات سلبية (٤١).

وقد توصل بحث المرأة الجديدة الذي قـدم لمـؤتمر بكين عام ١٩٩٦ لبعض البيانات ومنها العنف ضـد المـرأة بسبب منع الزوجة من السفر ويمثـل ٦٩% ومنعهـا مـن الخروج من المنزل ويمثل ٨٢% (٤٢).

## النتائج والتوصيات:

١- من الواضح أن التغيرات والتحولات داخل مجتمعاتنـا العربية أصبحت أقوى وأعمق من مواجهتها فـرادى وتكمن خطورتها في اختراقها للأسرة والتـي تعتبـر الخلية الأولى للمجتمع وحاملة شعلة التنشئة والثقافـة للأجيال.

٢- إن تلك التحولات والتغيرات لا تداعب فقط الشباب بقيم السوق وإغراءات الأجهزة وبما تحتويها من أنساق لا تخدم انتماءه وهويته وتقاليده وعاداته بل ترفع شـعار المساواة الكاملة للمرأة والذي قد يصل إلى منعطف لا ترتضيه التقاليد الشرقية العربية ثم تتجه تلك التحولات إلى الأطفال لتبث فيهم روح الأنانية والمنفعة وتتحول التغيرات إلى أزمـات تهـز سـلطة الرجـل الأب وصورته.

٣- وتساهم الضغوط المستمرة ومنها تضارب مكانة الزوج خاصة المهنية إلى اتساع الفجوة الأسرية بين الرجـل والمرأة. حيث قد تتشدق المرأة بكلمات منها، حقها في الحرية والمساواة ورفضها للحياة الزوجية وقد يكـون

الرجل مسيطرا أو سلبيا وغير مشارك فـي أعبـاء الحياة فيزداد الصراع بين الزوجين بصورة قد تتحول إلى عنف وتنعكس على الأبناء.

٤- إن العنف المنتشر في أبنية الأسرة إنما هو نـوع مـن أنواع التغير غير المحتمل من العلاقات التفاعلية التي ترتبط بالأوضاع الاجتماعية رغم أن الحياة الأسـرية المستقرة هي أمل الجميع، والمنزل يجب أن يكون هو المكان الذي تشعر الأسرة داخله بالسلام.

٥- يعتبر العنصر الاقتصادي من الدعامات الأساسية لتقدم الدول وبدونه لا يمكن تحقيق التغير المنشود حتى لو توافرت باقي عناصر التغير. ولا تقاس رفعة الـدول بما يتم استهلاكه من منتجات تم تصنيعها وتجهيزهـا بالخارج حتى لو استخدمت فيهـا أعلـى الـدرجات التكنولوجية بل بما لدى تلك الدول من قدرات إنتاجية لأفرادها لاستيعاب وتطويع التكنولوجيا. وهو ما لـم تقم به الدول العربية بصورة متكاملة حتى الآن حيث تقل فرص العمل والإبداع وتزداد البطالة.

٦- إن التهافت على كل ما هو مستورد حتى من الكماليات يولد ضغوطًا تئن منه الأسر نتيجة محدودية قدرتها الإنفاقية ويسبب العديد من الأزمات وقد يؤدي ذلك إلى البحث عن السفر خارج القطر لسنوات. مثل حالات منتشرة في ج.م.ع فتزداد الأزمات العائلية خاصة عندما يتحول الأب لمصدر للمال فقط وليس سلطة تربوية لها دورها واحترامها السابق.

٧- تحمل ثورة الاتصال التي حولت العالم إلى قرية صغيرة ألوانا من الثقافات لم تتعود عليها المجتمعات العربية منها ثقافة العري والجنس والإدمان وغير ذلك وهي لا تساير القيم والتقاليد المجتمعية الدينية وفي المقابل أدى غياب المفاهيم الهامة مثل الانتماء والهوية القومية والالتزام الوطني داخل المجتمع إلى غيابها أيضا داخل الأسرة سواء على المستوى الأعلى أو الأدنى ويصاحب ذلك التفكك انهيار التوازن الذي كان يشكله الأب والأم داخل المنزل والذي كان أيضا يشكله المدرس في المدرسة والقدوة والشخصيات الرسمية وغير الرسمية في الحياة العامة.

٨- تعتبر إدارة الأسرة نموذجا مصغرا لإدارة الدولة ثقافيا واجتماعيا مما يساهم في الدفعة الاقتصادية، وإن نشر الثقافة المستنيرة التي تعتمد على إعلاء قـوة الإرادة والتحفيز وحسن التصرف والارتباط بالوطن ضرورة حياتية وسط أمواج ثقافة العولمة والكونية المتلاطمة.

٩- إن جوهر عملية التربية هي التطبيـع وتنشـئة الكـائن البشري على القيم والتقاليد المجتمعيـة والدينيـة وإن عملية التوازن مع نشر الفكر التكنولوجي لا يتعارض مع إقامة أسرة من خلال نظام الزواج. فالإنسان ولـد وهو يبحث عن الاستقرار ليستطيع أن ينتج ويبـدع، وقد أدى عدم تقديس نظام الزواج في الغـرب إلـى انتشار العزاب من الجنسـين وزاد تفكـك الـروابط الأسرية مما يثير التساؤل حول توقعات انهيار تلـك الدول من الداخل.

١٠- قد أدت الأزمات الاقتصادية داخل المجتمعات العربية إلى انتشار فكرة التقليل من أهمية الزواج بالإضـافة إلى ارتفاع سن زواج الفتيات والفتيان وتعتبر الطبقـة الوسطى هي الإطار الاجتمـاعي الرئيسـي لعمليـة

توارث القيم الأصلية ومع ذلـك فـإن تلـك الطبقـة الوسطى هي أساسا التـي تعـاني مـن المشـكلات الاقتصادية وبالتالي هي التي يعـاني أبناؤهـا مـن مشكلات الإسكان والمواصلات والـدخل المـنخفض وبالتالي تتكسر طموحاتهم على أمواج الصراع وتتفاقم مشكلة انحسار الزواج وتشتد الأزمات العائلية.

١١- من المفيد إعادة ترتب مفاهيم الأسرة لتجنـب تفكـك المجتمع ولن يحدث ذلـك إلا مـن خـلال التنسـيق المتبادل لكل مؤسسات الدولـة الثقافيـة والتعليميـة والإعلامية بالإضافة للخطاب الديني المستنير.

## المراجع:


(1) Lewis Coser, Mastersof Sociological though, Ideas n Hidstorical and Social Context. (Harcourt Brace Jovanovich, Publishers, N.Y. 1977).

(٢) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، ترجمة محمـود عودة وآخرون (دار المعارف الطبعة الأولـى ١٩٧٠) ص٩٥.

(٣) عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع (المكتـب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الثالثـة ١٩٩٨) ص٦٥.

(٤) المرجع السابق ص٦٩.

(5) Michael Mann, The International Encyclopeida of Sociology. (New York, 1994) P. 174.

(6) Gordon Marshall "The Concise" (Oxford Dictionary of Socilogy, N.Y, Oxford University Press, 1994). P. 174.

(٧) عبد الهادي الجوهري، المرجع السابق ص١٩.

(8) Matt Cherry and Mollen Matsumura, A vision of families for the Twenty-First Century. Adeilatation of Seawlar Family

values, Includes, Related Article on Secular Families), free Inquiry, 1998) P.20.

(١٠) نادية توفيق محمود وافي، (وقاية المرأة من العنـف، دراسة مقدمة في مـؤتمر الجمعيـة المصـرية لحـل الصراعات الأسرية والاجتماعية ١٩٩٧) ص٨٢-٨٣.

(١١) نبيل عبد الفتاح حافظ وآخرون، مقدمة في علم الـنفس الاجتماعي (مكتبة زهراء الشـرق، القـاهرة ١٩٩٧) ص٢٤٥.

(١٢) المرجع السابق، ص٢٤٦.

(١٣) نبيل رمزي إسكندر، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية (دار المعرفة الجامعية، عام ١٩٨٨) ص٧-١١.

(١٤) دون إدوارد، هيلـين جيلـزر، الأسـرة والعلاقـات الحميمية، مقال منشور فـي المجلـة الدوليـة للعلـوم الاجتماعية، تصدر ربع سنوية من اليونسكو، فبرايـر ١٩٩٤) ص١٦٤.

(١٥) المرجع السابق، ص١٦٤-١٦٥.

(١٦) خطــة التنميــة الاقتصــادية والاجتماعيــة لعــام ٢٠٠٣/٢٠٠٤ المرجع السابق ص٢٦.

(١٧) المرجع السابق ص٢٩.

(١٨) علي ليلة، النظرية الاجتماعيـة المعاصـرة، دراسـة لعلاقة الإنسان بالمجتمع (دار المعارف، الطبعة الثانيـة ١٩٨٣) ص٥٠٦.

(19) Christopher Dawson, Religion and the Rise of Western Culture, Doubleday. (company Inc. New York, 1961) P.P.14-15.

(٢٠) سامية الخشـاب، شـاهد علـى الأسـرة المصـرية المعاصرة. (ورقة عمل منشورة في ندوة قسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة، عام ٢٠٠٠) ص٣.

(21) Giddens. A., The Transformation of intimacy, Sexuality, Love, Eroticism in Modren Societies. (Cambridge, Polity Press, 1992) P.P. 42-43.

(٢٢) ستيفن ديلو، التفكير السياسـي والنظريـة السياسـية والمجتمع المدني ترجمة ربيـع وهبـة ( مطبوعـات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، عام ٢٠٠٢ ) ص ص ٦٥٦ ـ ٦٦١ .

(٢٣) روبرت بريم، المثقفون والسياسة، ترجمة عاطف أحمد فؤاد. (دار المعارف القاهرة، ط١، ١٩٨٥) ص١٢٤-١٢٥.

(24) Dudely Seers, Leonard Joy, Development in Divided World, (Pengin Books, London, 1971) P. 16.

(٢٥) على ليلة، البنائية الوظيفية في علـم الاجتمـاع (ط٢، القاهرة، ١٩٩٤) ص٤١٦.

(٢٦) شادية علي قناوي، المشكلات الاجتماعيـة وإشـكالية اغتراب علم الاجتماع رؤية من العـالم الثالـث، (دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٨) ص٦٨-٦٩.

(٢٧) محمود فهمي الكردي، التراث والتغير الاجتماعي تأثير بعض أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية، دراسة ميدانية لسـياقات اجتماعيـة متباينـة بمصر. (مطبوعـات مركـز البحـوث والدراسـات الاجتماعية – كلية الآداب – جامعة القـاهرة، الطبعـة ٢٠٠٢) ص٢٢٦-٢٢٨.

(٢٨) ريتشارد إسباركس، العنف عند الأطفال والمـراهقين. (معهد التخطيط القومي مركز التوثيق والنشر، مكتبـة شباب ٢٠٠٠) ص٢٠٢.

(29) Gelles, Oprian, the violent home. (Astudy of physical Aggresion Between Husbands and wives, Beverly Hills, Calif. Stage, 1974) P. 75.

(٣٠) مصطفى عبد الغني، العنف الثقافي للعولمة. (الدار العربية للنشر، عام ٢٠٠٢) ص٣٨.

(٣١) سامية خضر صالح، استراتيجية مواجهة العنف رؤية نقدية ودراسة تطبيقية. (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٨) ص٥٤.

(٣٢) هبة رؤوف، الأسرة والسياسة، نحو إطار نظري لدراسة الواقع المصري. (دراسة منشورة في أعمال الندوة السنوية الأولى لقسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة وموضوعها المجتمع المصري في ظل متغيرات النظام العالمي ١٩٩٥) ص٨٤.

(٣٣) نادية رضوان، الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم ثلاث دراسات تبعية لمجموعة من الشباب من ١٩٨٤-١٩٩٤. (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧) ص١٧.

(٣٤) محمد حافظ دياب، الأسرة العربية الواقع والمتطلبات. (المؤتمر العلمي الثالث المجلد الثالث، الجزء الثاني، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، القاهرة ١٩٩٠) ص١٩.

(٣٥) سامية محمد جابر، الانحراف والمجتمع محاولة لنقـد نظرية الاجتماع والواقع الاجتمـاعي. (دار المعرفـة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٧) ص٣٠٧-٣١٤.
(٣٦) المرجع السابق، ص٣١٤-٣١٥.
(٣٧) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصائي السـنوي ١٩٩٤-٢٠٠١. (جمهورية مصر العربيـة، القـاهرة، عام ٢٠٠٢) ص٢٩.
(٣٨) السيد الحسـيني وآخـرون، دراسـات فـي التنميـة الاجتماعية. (دار المعارف، ط١ ١٩٧٣) ص١٤٧.
(٣٩) سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع. (مكتبـة سـيد رأفت، القاهرة، ط١، ١٩٧٧) ص١٠٢-١٠٥.
(٤٠) معن خليل عمر، النظرية في علـم الاجتمـاع. (دار طوبقال للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٩٤) ص١٦٨.
(٤١) إجلال إسماعيل حلمي، الاتجاهات النظرية والمنهجيـة الحديثة في دراسة العنف الأسري. (دار قباء للطباعـة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩) ص٩.

(٤٢) سامية الساعاتي، وقاية المـرأة مـن العنـف وحقوق الإنسان. (مؤتمر الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، أبريل، القاهرة ١٩٩٧) ص٣٨-٤٣.

# الفصل الثاني

- الجامعة والخصوصية الثقافية.
- أهمية التربية الميدياتيكية في زمن تعدد وسائل الإعلام.

# الجامعة والخصوصية الثقافية

تتصف الجامعة كمؤسسة تعليمية تربوية بخاصية منفردة لا تنافسها أية مؤسسة أخرى ألا وهي امتلاكها دور وظيفي وآليات الاستيعاب المتكررة والمستمرة لأعداد هائلة من الطلاب في سن متقاربة يتم حصولهم على علوم ومعلومات ومهارات متعددة تؤدي إلى تبلور ونضج الشخصية في سنوات معدودة وتغير من موقع جمهور الشباب من مرحلة إلى مرحلة مع إضافات جديرة بالاهتمام تحولهم إلى فئات قادرة على الدخول في معترك الحياة وإدارتها بخبرة المسئول عن مستقبل الغد خاصة في عصر العولمة وتفكيك الثقافات وتشتيتها [(1)].

وإذا كانت مرحلة الطفولة ذات طابع بيولوجي فإن مرحلة الشباب مرحلة اكتمال بيولوجي نفسي اجتماعي حتى يرمز إلى الشباب في المجتمعات المعاصرة بالتمرد وعدم الاستجابة لأوامر الكبار وتردد عبارة صراع الأجيال دليل

على اختلاف القيم بين الآباء والمسئولين من جهة والشـباب من جهة أخرى [٢].

## مفهوم الجامعة:

إن العلم هو الذي هيأ للإنسان السيطرة علـى قـوى الطبيعة ومكنه عن طريق التكنولوجيا من إخضـاع البيئـة لصالحه، كذلك العلم هو الذي خلق الدول التي يطلق عليهـا دولا صناعية متقدمة مقابل دول نامية وتلك الدول الصناعية هي دول سياسة قوية.

وتعتبر الجامعة من المؤسسات التعليمية الهامة فـي تنمية القوى البشرية المنتجة وذلك من خلال تزويد الأفـراد بالقيم والاتجاهات والمعارف التـي تمكـنهم مـن الابتكـار والتجديد ومن المساهمة الإيجابية في صنع المستقبل وتؤكـد الأبحاث الاجتماعية على دور الجامعة في غرس قيمة العلـم كقيمة أساسية من قيم المجتمع المعاصر [٣].

وإن معظم الجامعات يكاد يكون لها توصيف معـين سواء في الهيكل التنظيمي أو الحجم أو الإدارة وتساعد كـل تلك الأمور في خدمة الأغراض التي أنشئت من أجلها ويمكن أن تقاس نجاح أهدافها بمـدى التنسـيق الجيـد للقطاعـات

والأقسام المختلفة. وغالبا ما يتم حصر المجـالات الرشـيدة للإدارة في أربع إدارات:

١- شئون الطلبة والبحوث.

٢- الشئون المالية.

٣- خدمات طلابية.

٤- علاقات عامة.

٥- شئون الخريجين ويمكن إضافة أو دمج بعـض الإدارات فمثلا مسئولية توفير التمويل والـذي يـؤدي إلـى التطوير يمكن أن يدمج مع بند العلاقات العامـة أو شـئون الخريجين [٤].

إن هدف الجامعات هو تدعيم المفاهيم العلمية بشـكل يؤدي إلى تنمية الطالب والذي من خلاله يكون تنمية المجتمع كله لذلك غالبا ما تؤازر رؤية الـوطن واتجاهاتـه كمـا أن الأنشطة الجامعية تهدف إلى الربط بين الفرد والجماعة وبين مجتمع الجامعة والمجتمع الأكبر [٥].

وتختلف الدول من حيـث درجـة رقابتهـا علـى الجامعات باختلاف نظامها السياسي الذي تتبعه حيـث تعـد الجامعات إحدى المؤسسات والتنظيمات داخل الدولة وفكـرة

الرقابة أساسها في الفقه التقليدي للديمقراطية الغربية، وهـو مبدأ "مونتسيكو" الشهير مبدأ الفصل بين السلطات ذلك المبدأ الذي يرفض تجمع كل السلطات في هيئة واحدة أو شخصية واحدة كذلك كان من الضروري أن تستقل كل سـلطة مـن السلطات الثلاث بإحدى وظائف الدولة في حين أن ذلـك لا يمنع من وضع حدود لكل منها بواسطة الأخـرى بحيـث لا تستطيع واحدة من السلطات الـثلاث أن تسـيء اسـتعمال سلطاتها أو تستبد بها. كما ينبغي أن يكون الأستاذ الجـامعي مدرسا، وباحثا علميا وإداريا.

## مفهوم الثقافة:

تعتبر الثقافة عملية تعلم مستمرة يـتعلم الفـرد مـن خلالها الاتجاهات السياسية والنظم والقوانين كما يتوارث من خلالها القيم الوطنية والقومية والتي يتم تناقلها عبر الأجيال.

وأنه من الصعب فهم الثقافة بعيدا عـن المجتمـع، فالثقافة نشاط إنساني لا يوجد إلا في مجتمع، وتختلف الثقافة داخل البلد الواحد ولهذا يقال أن كل ثقافة تعتبـر محصـلة تجارب ماضية وحاضرة لشعب مـا. وهـي ذلـك الجـزء المكتسب بالتعلم من سلوك الإنسان. كما أنها تعيـد صـياغة

حاجات البشر، وهي ليست خصائص بيولوجية وإنما تمثـل صفات اكتسبها الإنسان البالغ من مجتمعه عن طريق الـتعلم المنظم أو الحركات والاستجابات الشرطية، ويدخل في إطار ذلك، المهارات الفنية المختلفة والنظم الاجتماعية، والمعتقدات وأنماط السلوك، وأن ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات هـو أن الإنسان هو الوحيد الذي يملك الثقافة وهو يجمع التجارب السابقة بواسطة اللغة ويعتبر سلوكه محصلة تراكم نشـاطات الأجيال السابقة حيث يمر الأفراد بعمليات دمج وتعلم لطرق التفكير والعمل التي تؤلف ثقافة هذا المجتمع [٦].

ومن المعروف أن كل دولة تنفرد بـبعض الرمـوز التي تساهم في تدعيم الهوية القومية، فالنشيد الوطني، وتحية العلم وانتشار قصص الشخصيات التاريخية البـارزة تعمـل على إدماج الثقافة السياسية في ضمير الشـباب وارتباطـه بوطنه. كذلك الاحتفال بالمناسبات القومية يزيد من مشـاعر الانتماء [٧].

ويعتبر مفهوم الثقافة الـذي قدمـه "إدوارد تـايلور e.Taylor" من أقدم وأشهر المفاهيم حيث ذهب فيه إلـى أن الثقافة بمعناها الإثنوجرافي الواسع هو ذلك الكـل المركـب

الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع [٨].

ويكتسب مفهوم الثقافة أهميته المعرفيـة والمنهجيـة والعلمية من حقيقة يؤكدها "لوى Lowie" وهي أن دراسـة الثقافة أصبحت تمثل ميدانا مستقلا خلال المائة سنة الأخيرة مما يجعل لها أهمية خاصة فهي تمثل انتظام مجموعة مـن الأحداث والعناصـر الرمزيـة كاللغـة والقـيم والعـادات والمعتقدات والأدوات [٩].

## الخيار بين الحداثة الداخلية والخارجية:

لقد كان تحدي الثقافة الغربية عنوانـا رئيسـيا مـن عناوين المجادلات في الشرق الأوسط لحوالي قـرنين مـن الزمان، وتقدم الثقافة الشعبية الأمريكية هذا التحدي في أكثر أنماطه حداثة وانتشارا في نفس الوقت. وقد قدم المفكـرون وحكام الزعماء في الشرق الأوسط وسوف يسـتمرون دون شك في تقديم ردود مختلفة على هذا التحدي إمـا بالمحاكـاة والتمنـي والتـأقلم والتشـرب أو الشـكوى والاسـتنكار والرفض[١٠].

وسيكون للصراع بين الديمقراطية والأصولية تـأثير مباشر في خيار آخر بين الحداثة الخارجية والداخلية فالحداثة الخارجية تعني قبول الأجهزة وأسباب الراحـة والرفاهيـات التي يأتي بها العلم والصناعة في الغرب. بمعنى آخر تعنـي شراء بندقية وإطلاقها، فيما تعني الحداثة الداخلية تعلم كيفية صنع البندقية وفي النهاية وضع تصميم لها، ولا يبدو ذلـك ممكنا في الدول التي تدرس فيها العلوم في المدارس بكتـب عمرها خمسون سنة مثل بعض دول المنطقة واللحاق بركب العالم الحديث ليس بشراء التكنولوجيا بل بالتحول إلى جـزء من العملية التي تنتج هذه التكنولوجيا أي المرور عبر الثورة الفكرية والتحول الاقتصـادي والاجتمـاعي وفـي النهايـة السياسي والذي يسبق التغيير التكنولوجي ويرافقه ويليه، ولا يزال الشرق الأوسط متخلفا عن دول مثل كوريـا وتـايوان وسنغافورة واليابان وقد تخرج جامعاتها كل سـنة عشـرات الآلاف من المهندسين ولكن تجلب الحكومـات والشـركات المتطلبة لأعمال عالية التقنية متعاقدين من كوريا وسـتزداد الهوة طالما لم يحدث التحول إلى التحديث [١١].

وإذا كانت التنمية الصناعية لا بد لها مـن خمسـة عناصر هامة هي الـ Five M، الإنسـان Man، المـادة Material، المـال Money، السـوق Market، والآلـة Mahcine، فإن التنيمة التعليمية من خلال الجامعـات لهـا وظائف ثلاث هـي: Three Rs الأدوار Roles، الحقـوق Rights، المسئوليات Responsibilities فالتعليم هو إنفاق استثماري، حيث يصبح الشباب عـن طريـق المؤسسـات التعليمية عضو فعال داخل المجتمع ولـه دور فـي صـنع القرار.

وإذا فشلت الجامعة فـي جـذب الشـباب للمعرفـة والمهارة وللمشاركة فـي تنميـة المجتمـع فـإن الضـبط الاجتماعي والنظام والحقوق يصبحون في مستوى متدنٍ فمن خلال وظيفة المؤسسات التربوية والتعليمية تكـون التنشـئة الاجتماعية والتي يتعلم من خلالها الشاب كيف يصبح عضوا منتجا فالتنشئة تستمر من خلال دورة الحيـاة Life Cycle وهي تأخذ أشكالا متعددة رسمية وغير رسمية ويبـدأ ذلـك مبكرا في مراحل الطفولة الأولى، وداخل الفصول المدرسية، وفي قاعات الجامعة، والمدارس الصناعية، وفي تعليم الكبار،

والتدريب لمتقدمي السن، كذلك في التعليم عن طريق الملاحظة والنقد، وهذه التنشئة نجدها تختلف من مجتمع إلى مجتمع حسب الإطار الثقافي للمجتمع، كذلك فإن عملية التنشئة لا تمر دائما كقضية سهلة فهناك أسئلة مثل ماذا يتم تدريسه؟ لمن يكون التدريس وكيف يتم التدريس ثم هناك الجماعات العنصرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وكل هؤلاء وغيرهم قد يمثلون عناصر قوة ضاغطة على نظام التعليم [١٢].

## أزمة الأعداد الكبيرة:

ويمثل أعداد الطلاب الكبيرة المتزايدة أحد أهم مصادر الخلل في العملية التعليمية حيث إن البنية الأساسية من منشآت وتجهيزات هي محدودة رغم توفر نسبة مناسبة من أعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب في بعض الكليات العملية فمثلا في جامعة القاهرة تبلغ النسبة ١ : ٥ بكليات الطب و ١ : ٨ بكلية الزراعة و ١ : ١٩ بكلية الهندسة وذلك لعام ٢٠٠٠/٢٠٠١ أما كليات التجارة والحقوق والآداب فيلتحق بها أعداد كبيرة سنويا تصل إلى ٣٠,٠٠٠ وهذا لا يتناسب مع أعداد هيئة التدريس حيث تمثل ١ :

٢١٤ ولا تتسع المدرجات والقاعات لتلك الأعداد الكبيرة وإذا نظرنا لبعض الدول الأوروبية التي واجهت مثل هذه المشاكل مثل فرنسا فنجد أن جامعة باريس عام ١٩٦٨ كانت من الجامعات ذات الأعداد الكبيرة وكان ذلك يمثل عقبة في سبيل تحديث التعليم في فرنسا وما صاحب ذلك من ثورة الطلاب في عهد ديجول في ذلك الوقت مما أدى إلى أن تقرر الحكومة تقسيم جامعة باريس إلى ١٢ جامعة تحمل كل جامعة منها اسم جامعة باريس مضافا إليها رقمها (باريس ١ – باريس ١٢) وبذلك تمكنت من تطوير نفسها والارتقاء بالتعليم والبحث العلمي [١٣].

ورغم أنه من المعروف أن أي جامعة في الدول المتقدمة لا يزيد عدد الطلاب المقيدين بها عن ٢٠,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ طالب إلا أننا لو قارنا ذلك بالجامعات المصرية لوجدنا أن جامعة القاهرة مقيد بها ١٦٣,٤٠٠ طالب وجامعة الإسكندرية ١٣٦,٠١٦ طلاب وجامعة عين شمس ١٥٤,٥٧١ طلاب فالبحث العلمي منظومة تعتمد أساسا على مفاهيم العلماء والباحثين ونحن نملك كوادر بشرية علمية وفنية من بين الشباب على مستوى مناسب وهناك حاجة

لإشاعة المنهجية العلمية في التفكير بين جموع العاملين بالبحث العلمي والتعليم من علماء وباحثين وإداريين وفنيين يمكننا أن نخطو خطوات تنفيذية جادة تحدد الأولويات للحاق بركب التقدم العلمي العالمي [١٤].

والتعليم بكل مستوياته وكذلك البحث العلمي هو منظومة متكاملة في حركة ديناميكية ذات حلقات متشابكة ممثلة في المؤسسات التعليمية منذ الحضانة حتى الجامعة ولا يمكن للقاعدة العلمية أن تؤتي ثمارها إلا في ظل مناخ ثقافي اجتماعي محلي لأن ما يحكم فاعلية التعليم والبحث العلمي في أي مجتمع يعتمد أساسا على الثقافة الاجتماعية السائدة بمفهومها المتسع بمعنى البعد الثقافي الاجتماعي الذي يرتكز على المفاهيم السلمية ذات الرؤى المتسعة في تعظيم القيمة الفكرية والمنهج العلمي في التفكير خاصة في عصر الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي المتسارع [١٥].

## الجامعة معمل لتفريخ المواهب:

ويشار إلى الجامعة بأنها هي المعمل المتكامل لتفريخ أجيال تؤمن بأهمية التعليم والثقافة والتنمية وبدور العلم في

قدرة الإنسان على استغلال بيئته وموارده المتاحة الاستغلال الأمثل.

وعندما يفقد الإنسان المكونات القوية المدعمة لثقافته تتساقط قدرته على التخيل والإبـداع والاختـراع وتنهـزم مواهبه ولا يعمل على ربط النظرية بالتطبيق فيصبح الواقـع لديه غير ذات أهمية وبالتالي لا يبالي بموضـوع الانتمـاء والهوية وتعتبر منظومة القيم من أكثر العناصر قدرة علـى دفع الإنسان وتقدمه ورغبته في التغيير للأفضل وارتباطـه بعناصر الاتصال والبعد عن الانعزالية والجمـود وبالتـالي على إثراء ثقافته حيث ترتفع درجـات الابتكـار والتجديـد والتحديث وتنتشر القدوة الصالحة وتزداد الارتباط بها.

وإن ثقافة أي مجتمع لا تتغير إلا بـإدارة الجماعـة حيث إنها طريقة أفراده في الحياة وهي فكرهم الذي يبـدو بوضوح في أعمالهم وسلوكياتهم فللثقافة محتوى فكري ينظم الأفعال الإنسانية وهي من وجهة النظر السلوكية سلوك متعلم أو مكتسب اجتماعيا وهي فوق كل ذلك ضـرورية كحـافز للفعل أيا كان هذا الفعل. ومعنى ذلـك أن هنـاك ضـرورة لتطوير المؤسسات التنموية خاصة المؤسسة التعليمية والبحث

العلمي ونشر التخطيط العلمي القادر على مواجهة المتطلبات المتغيرة والمتجددة للمجتمع. وأن النظام التعليمـي المنفـتح على أحدث الوسائل العلمية المتاحة والذي يحافظ في نفـس الوقت على غرس قيم الهوية فضلا عن التعامل الواعي مـن قبل الجامعات والمراكز العلمية سيساهم في وضـع التقـدم، بدون ضياع ثقافتنا وهويتنا [١٦].

وتعتبر الجامعة من أكثر المؤسسات قدرة بإمكانياتها في حماية الهوية في مقابل تعاظم دور المؤسسات الغربية في تذويب الخصوصية الثقافية وتشتيت الذات المصرية العربية.

ويتميز العصر الحالي بالتطور السريع فـي مجـال التكنولوجيا ولم تعد العلاقة بين التطور التكنولوجي والـزمن علاقة خطية بل إنها قد تحولت إلى علاقة أسية لهذا فقد يـتم سحب بعض الأيدي العاملة بالفعل في أعمال تكون إنتاجيتهم فيها منخفضة إذ إن أعمالهم قد اقتربت من ترس التطوير من أعمال أخرى تبشر بزيادة إنتاجيتهم فيها ومثل هذا الانتقال أو التحول من مهنة إلى أخرى يتطلـب نوعـا مـن التـدريب التحويلي، ويكفي للدلالة على هذه النقطة ملاحظة الآثار التي أدخلتها الحواسب حديثا على الأجهزة والمعدات وما تبعه من

حتمية هذا التدريب التحويلي حيث يتوقف المخطط كثيرا عند تحديد أحد الأهداف الرئيسية في التـدريب المهنـي وهـل التدريب يكون باستخدام التكنولوجيا المتقدمـة؟ أم التـدريب باستخدام التكنولوجيات الملائمة المكثفة لاسـتخدام عنصـر العمل؟ ورغم أن الاتجاه الأول هو الاستجابة الطبيعية لروح عصر التقدم التكنولوجي إلا أن الاتجاه الثاني أيضا هو القادر على توفير العمل الأشمل كما أن تكلفته أبسط وحتى مستوى عناصر المدربين فليس من الضروري أن يكـون متميـزا. وكل تلك التساؤلات وغيرها يجب أن تكون الجامعة لـديها الإجابة الشافية عليها لنقلها للشباب [١٧].

فقد أخذ مصـطلح نقـل التقنيـات Technology transfer معنى جديدا حيـث عملـت بعـض الشـركات الأمريكية على فتح أسواق لها عبر المحـيط Penetrating Overseas Market مقابل إغراء تلـك الـدول بإعطائهـا تقنيات أمريكية حديثة، في الوقت ذاته فإن العاملين ومنتجـي التقنيات الحديثة فائقة التطور مثل الخلايا الشمسـية Solar cell وأجهزة الاسـتريو الفائقـة النقـاء High-fidelity stereo الخلايا الضوئية Photo cell يعرفون جيـدا أنهـم

رواد في هذا المجال داخل الولايات المتحدة الأمريكيـة. إلا أن هذه التقنيات قد تم تطويرها والاستعانة بها خارج أمريكا خاصة في مجال الحاسب.. ومن المعروف أنـه فـي عـام ١٩٨٩ قام المسئولون المسـيطرون علـى وزارة التجـارة الأمريكية ببيع حواسب آلية إلى الاتحاد السـوفيتي السـابق وذلك رغم معارضة البنتـاجون (وزارة الـدفاع).. ومـن الواضح أن العلم والسياسة قد تداخلا بشكل كبيـر حتـى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعتبر المسئولة عن إقامـة صناعة سلاح حديثة في بعـض الـدول، ويعتبـر القـرار الأمريكي الصادر عام ١٩٨٩ بمشاركة اليابان لبناء طائرات مقاتلة معها أبلغ تأكيد علـى علاقـة العلـم وتكنولوجيتـه المتطورة بالسياسة [١٨].

ومن المفروض أن يتخرج طلبة الجامعة بتلك الأعداد وهم على دراية تامة بتلك التغيـرات السـريعة والأجـواء الملتهبة سواء علميا أو سياسيا أو اجتماعيا.

حيث تعاني معظم الجامعات من تخريج مجرد أفراد قد يعملون ولا يعملون ولا وعي لديهم بالتقلبـات العالميـة والقنوات الشرعية التي من الممكن مساعدتهم.

ويحدد "توفلر" في دقة بالغة التطور الذي نشهده اليوم في عصر ما بعد الصناعة فيقول "لم تعد موارد الثروة هـي التي تفرض على الإنسان ما يتخذه من قرارات، بل أصبحت المعلومات هي التي تخلق موارد الثروة، وهذا البعد الثوري الأكبر، ولعله أعظم تغير يشهده الإنسان في تاريخه [١٩].

لقد ترتب على ثورة المعرفة وتسارع المعلومات أننا أصبحنا نعيش في مرحلة انتقالية تكاد تكون دائمة، وأصـبح كل شيء يتغير حولنا قبل أن تتاح لنا الفرصة لإقامة نوع من التوازن بل قد نعجز في كثير من الأحيـان أن نتأكـد مـن الاستيعاب السريع لبعض المعارف، وإذا قدرنا سرعة الإيقاع التي تتضخم بها المعلومات بميزان الوقت الحاضر نجـد أن الطفل الذي يولد اليوم سوف يواجه من المعلومات عندما يبلغ عمره أربع عشرة سنة أربعة أضعاف ما هو متوافر لنا اليوم وعندما يبلغ الخمسين سوف تكـون هـذه المعلومـات قـد تضاعفت اثنين وثلاثين مرة وسيترتب على ذلك الوضع عدة نتائج منها أن العملية التعليمية ستصبح مستمرة، وستصـبح حياة الشخص سلسلة متعاقبة من الدراسة والعمل والتـدريب لذلك من الواجب علينا أن نكون مستعدين للانفجار المعرفي

ويجب أن نحاول من الآن أن نجد طريقة لتصنيف المعارف الجديدة القادمة والاختيار منها ونشـرها مـع أن المعـارف الحالية تستغرق كل جهودنا وعلينا أن نعرف كيف نواكـب سرعة التعليم لأبنائنا ونرسم تصورات لما يحتمل أن تكـون عليه أنواع العمل وما ستكون عليه شكل الأسـرة والعلاقـة الإنسانية [٢٠].

## الوقوع بين المطرقة والسندان:

ويرى المتابعون للأحداث المحيطة أن الأمة العربية قد وقعت بين المطرقة والسندان حيث تستند الإدارة الأمريكية في تبريرها لدعوة الـدول العربيـة علـى انتهـاج البـديل الديمقراطي باعتباره أفضل السبل لمواجهة واقعها المتـدني بحجة أن السلبيات التي تشهدها المنطقة العربية هي المسئول الأول عن تدهور أحوالها وانتشار فكر العنـف والحركـات الإرهابية داخلها وبسبب تلك السلبيات كما تشـير التقـارير الأمريكية أن الوطن العربي يعاني فجوات ثـلاث، الأولـى سياسة ناتجة عن وجود أنظمة سياسـية مغلقـة لا تسـعى للتطوير مع انتشار أنظمة استبدادية تعمل من أجـل البقـاء، ثانيا فجوة اقتصادية تتمثل في ضعف الاقتصاديات العربيـة

وهو ما يظهر عند دراسة معدلات النمو مما يؤيد إلى انتشار البطالة وزيادة معدلات الفقر واستحالة إدماج السوق العربية في الاقتصاديات العالمية ويضاف لذلك انتشار مفاهيم الرشوة والمحسوبية والانغلاق الفكري مما يحد من إمكانية مضاعفة أو اجتذاب رأس المال الخارجي للمشاركة في التنمية والفجوة الثالثة هي الفجوة المعرفية وتتمثل في افتقـار تلـك الـدول المعرفة اللازمة لإدماجها في المجتمع العالمي نتيجة لسـوء حال المؤسسات التعليمية وانتشار ظاهرة الأمية وتهميش دور المرأة وعدم منحها في بعـض الـبلاد العربيـة لحقوقهـا السياسية. وبعيدا عن التشخيص الأمريكي لأزمات المجتمـع العربي والذي هو بالفعل حقيقة، ويستند إلى تقارير التنميـة العربية. فإن شيوع اللامبالاة السياسية بـين الجمـاهير إمـا نتيجة للقمع أو لعدم مصداقية تلـك الـنظم والاسـتناد إلـى برلمانات شكلية وانتشار المحسوبية وغيرها يساهم في نشـر قيم الاغتراب على المستوى الجمعـي والفـردي ويتحـول الجمهور إلى كم مهمل غير فاعل [٢١].

وقد اعتبر أرسطو أننا حيوانات اجتماعية بطبيعتنـا لذلك نبحث عن طرق لخلق أوضاع أو أطر للتعاون ويساهم النظام التعليمي في إدراك تلك القيمة لصالح المجتمع.

وحتى تقوم الجامعة بدورها المتكامـل فـي تـدعيم الخصوصية الثقافية للوصول إلى التنمية الشـاملة لابـد أن توجد داخل مجتمع ديمقراطي وبيئة تساعد المواطنين علـى تقدير قيمة الديمقراطية حيث يشير "جون ستيوارت مل" إلى تأثر "توكفيل" من خلال بحثه عن الديمقراطية في أمريكا من أن النظام الديمقراطي هو نظام أساسي للنهضة والتقدم وأنـه بالمواطنين يكون فشله أو نجاحه، فالديمقراطية لا تقاس بمـا تضعه من قيم إنما تقاس بالروح التي نطبق بهـا قواعـدها والإخلاص الذي نراعي به مبادئها والنزاهة التي تلحق بهـا قيمتها فالديمقراطية نظام تربوي لابد أن يستغرق زمنا ولابد له من تجربة ولابد أن يقع في الخطأ وكان "مل" حريصا في هذا السياق على توضيح الأهداف من النظام الديمقراطي من حيث كونه من أقل أنظمة الحكم ضررا وأقلها عيوبا وكلمـا كان النظام معززا بتربية سياسة كلما أدى الغرض الأسـمى منه [٢٢].

فالقضية محل البحث هي بيئة اجتماعيـة وسياسـية تمكن الأفراد من تطوير قدراتهم العقلية إلى أقصى حد ممكن حيث دفع "مل" القدرات الأساسية الخاصة بالإدراك والحكـم على الأمور، والشعور التمييزي والفاعلية الذهنيـة وأيضـا التفضيل الأخلاقي لا يمارس إلا فيما يقوم بـه النـاس مـن اختيار [٢٣].

ولا نستطيع أن نجنب الجامعة القدرة على تـدريب الأفراد وتربيتهم على تلك القدرات العقلية واعتبار مصـالح الآخرين هي مصلحتهم لإقامة مجتمع يمكن لكل فرد فيه من العيش في تناغم وسلام.

## تخليق ثقافات وتفتيت ثقافات:

ويمكن الإشارة إلى ما ورد في كتاب محمد حسـنين هيكل الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العـراق عـن أشهر المدخلات في أثناء مناقشة الكـونجرس عـام ١٨٩٨ المسألة الإمبراطورية، ومن بينها مداخلة وردت في سـياق خطاب السيناتور "ألبرت بيفردج" عضو الكـونجرس عـن ولاية فيرجينيا تحت عنوان حماسي هو "زحف العلم" أكد فيه

أن مبادئ الحرية لا يمكن أن تنتشر إلا من خلال العلم، ودعا فيه إلى نشر النموذج الأمريكي لكل دول العالم.

وفي هذا الإطار من المهم أن تترسخ لدينا القناعـة بأهمية العلم كمنتج تربوي تعليمي تقوم به الجامعات حيث إن التعليم هو قضية أمن قومي ومسئولية مجتمعيـة لا تقتصـر على التربويين وحدهم بدءا من المدرسة إلى الجامعة بل على ثقافة المجتمع ككل ونشر ذلك الفكر من خلال الإعلام.. فقد وصل الإعلام إلى قدرات وإمكانيات تفوق الوصف وأصـبح قادرا على نشر نجم بلا نجوميـة فـي دقـائق معـدودات والإعلان عنه كسلعة يتهافت عليها الملايين من خلال أرقام التليفونات. لكنه في نفس الوقت يتجنب تحمل مسئوليته فـي بث فكر تنويري لصناعة إنسان يؤمن بـالعلم ويقـدر دوره لبناء واختراق المستقبل الذي يتنافس عليـه أقويـاء العـالم المتقدم.

ولا يخفى على أحد أن الرئيس الأمريكي "بوش" قـد أعلن إبان سقوط بغداد أن اسـتراتيجية الولايـات المتحـدة الأمريكية يجري تطبيقها في الشرق العربي من خلال تزويد الشبان والشابات بكتب دراسية باللغة العربية كما أنها تساعد

المهتمين بالإصلاح التربوي على تحسين النظـام التعليمـي وأضاف أنه في إطار حرية الصحافة والفكر سـوف تطلـق شبكة تليفزيونية جديدة اسمها "الحرة" تذيع الأخبـار وتبـث الشرائط السينمائية والأخبار الرياضية والثقافية إلى الملايين من سكان الشرق الأوسط خاصة الشباب بالإضافة إلى إذاعة تسمى "سوا" ومن البدهي أنه علينا ألا نظل دائما مجرد فعل لأفعال الغير، ولابد أن يكون للجامعة موقف أكثـر إيجابيـة وديناميـة.

وتوصف ثقافة العولمة بأنها بلا ذاكرة للتاريخ وهي مصنوعة بدقة ومصحوبة ببرنامج تقني علمي تهـدف لـدفع موجات التغيير ويتم نقلها عبر الوسائل الاتصـالية الفائقـة التطور وهي بذلك ثقافة يتم تخليقها بحساب وليست كالثقافات السابقة التي كانت تتكون من خلال تراكمات الكل المركـب من العادات والتقاليد والفنـون والآداب وغيـر ذلـك مـن الجزئيات عبر الزمن.

وهي تميل إلى أن تكون ثقافة موجهة إلـى تحقيـق أهداف اقتصادية من خلال الربح أو سياسية أي خلق هيمنـة أو ثقافية بهدف تدعيم صور ذهنية معينة. وفي حين تتميـز

الثقافة الوطنية بالتجانس على الأقل عبر الاشتراك في مجموعة الرموز السلوكية والاشتراك في لغة واحدة فإن ثقافة العولمة تتجاوز الثقافة الوطنية متخطية حدود الدول وتنتشر عبر آليات مختلفة مثل العلاقات الدولية وآليات تدفق السلع والأفراد والمعلومات والمعرفة والصور وتتسم هذه الآليات الاتصالية كما يذهب "مايك فزوستون" بأنها تحقق قدرا من الاستقلال على المستوى العالمي. أي أنها تصبح آليات فوق قومية تتجاوز حدود المجتمعات الثقافية المحلية وتخلق عالما ثقافيا مستقلا بذاته هو ثقافة العولمة وتتجسد في مجموعة من الصور والرموز والممارسات والأساليب والفنون والقيم التي تضفي شرعية على النظام الاقتصادي والسياسة العالمية وتكسبها قدرا من الاستمرارية وإعادة الإنتاج كما أنها ترتبط بالاستهلاك [٢٤].

## المقترحات والتوصيات:

وبعد محاولة استعراض التطور والتغير العالمي وتأثير العولمة على ثقافة الشعوب والمجتمعات فإنه من الواضح أن الجامعة يقع عليها مزيد من العبء حيث:

أ- يجب أن تتفاعل الجامعة مع المجتمع بمشاكله حتى يكون ذلك دافعا نحو إقامة مجتمع أفضل خاصة بعد إنشـاء الإدارات المهتمة بشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئـة والإنسان.

ب- كذلك إنشاء مراكز الدراسات والاستشارات والتـدريب بالجامعة ليكون هذا المركز مصدر إشـعاع لإثـراء الجانب الثقافي والاجتماعي والعلمي والنفسي ولإيجاد الحلول المناسبة بأعلى مستوى من الخبرة المتمثلة في أساتذة الجامعة في كل الفـروع العلميـة والإنسـانية المتاحة مع الأخذ في الاعتبار أن تكون سياسة الدول واضحة أمام الجامعة ليصبح الإنجاز سليما.

ج- الانطلاق من رؤية أن المجتمع والجامعة في بيئة واحدة تلك البيئة التي إن لم يساندها العلم بفروعه تضـافرت عليها المشاكل ودمرتها حيث إن صناعة المستقبل هي عملية علمية.

د- الاستفادة من الخبرات الفكرية تخلق تواصلا بين الأجيال وطريقا جادا لصد الأخطار فـالزاد الثقـافي يحقـق حصانة للشباب ويحفزه للمشاركة بفاعليـة، وطريـق

المعرفة يمنـع الانـزلاق فـي بـراثن الانحـراف والإرهاب.

هـ - إن بداية إصلاح أي مجتمع يتوقف على السياسة التي تتبعها حكومته ومدى ملاءمتها للأوضـاع السـكانية واحتياجاتها ومدى مشاركة الجمـاهير وتعـاطفهم أو رفضهم وتذمرهم.

و- هناك جماعة الضغط وما تمثله مصالحها بعيـدا عـن الانتماء والتي غالبا ما تتسم داخـل الـدول الناميـة بالأنانية ولا تألو جهدا في البحث عن منفعتها الخاصة ويستدعي من الجامعة تدريس خطط التنمية والوقوف بجانب الشرعية لتخريج طلاب يؤمنـون بالمصـالح العامة قبل المصالح الخاصة.

ز- تبقى الآلية التي تتعامل من خلالها الجامعة مع خطـط البرامج والمعلومات الخاصة بخصوصية الثقافة والتي من الضروري أن تكون أكثـر تطـورا وألا يكـون الاعتماد متوقفا على شخصية ومعلومات الأستاذ فقط بل لابد من تقنيات وأجهزة وشرائط وأفلام وشاشـات تبث المعلومة وتنافس الصور الذهنية التـي يتلقاهـا

جمهور الطلاب عبر الفضائيات وليس ذلك رغبة في فرض ستار حديدي من المعلومات ولكن فـي إقامـة التوازن وتصحيح أي صور خاطئة وبث مزيـد مـن الوضوح لمعلومات قد تؤدي هوجة وسباق العولمـة إلى طمسها خاصة المعلومات المجتمعية والتاريخيـة القومية.

## المراجع:


(١) سـامية خضـر صـالح، إدارة التنميـة العربيـة. وسوسيولوجية المجتمع الإسلامي، بحث منشـور فـي مجلة كلية التربية (العدد الثالث عشر، مطبعـة عـين شمس، ١٩٨٩) ص٤٨٢.

(2) Broom, Seldznick, Sociology a text with adapted reading third edition, Harper, row publishers incorporated, printed in the U.S.A, 1963.

(٣) علي الدين هلال، آفاق المستقبل وتطوير التعليم، منتدى الفكر العربي – مشروع مستقبل التعليم فـي الـوطن العربي وتجارب تطوير التعليم، الطبعة الأولى، عمان، أكتوبر ١٩٨٩) ص٤٥.

(4) Longan Wilson, College and University Business Administration Council, Washington, D.C., Institutional Research, Professional Association for Business Officer, 1973) P. 3.

(5) Solon t. Kimball. Culture and the Education Process. (Teachers College, press College, Columbia University, New York, London, Copyright 1974) PP. 278-279.

(٦) علي عبد الرازق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافـة والشخصـية، دار المعرفـة الجامعيـة بالإسـكندرية، ص٦٢-٦٤.

(٧) سامية خضر صالح، التنشـئة السياسـية للـنشء مـع دراسات تطبيقية على تلاميذ الصف الثاني الإعـدادي (بحث منشور في مجلة كلية التربية، العـدد الحـادي عشر مطبعة عين شمس ١٩٨٧) ص٣٢٠، ٣٢١.

(8) Milton Singer, the concept of culture, in international Encyclopedia of the social sciences the Macmillan company & the press New York Collier – Macmillan Publishers, London Vol. 3-4, Reprinted Edition, 1972.

(٩) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع (دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٨٩) ص١١٤.

(١٠) برنارد لويس، تنبؤات مستقبل الشرق الأوسط ترجمـة من قبل شركة رياض الريس، بيروت، ينـاير ٢٠٠٠) ص٢٤.

(١١) المرجع السابق ص١١٠ – ١١١.

(12) Jeanne H. Ballantine, Schools and Society A Reader in Education and Society (Mayfield Publishing Company, Palo Alto And London, Copyright By Mayfield Publishing company, first Edition, 1985) P.4.

(١٣) حيدر غالب، تحديث التعليم والبحث العلمي في مصر، (مقال منشور في مجلة جامعة القاهرة رؤيـة جامعـة القاهرة في تحديث الدولة المصـرية الجـزء الثـاني، التنمية الشاملة ديسمبر ٢٠٠٢م) ص١٨٨.

(١٤) المرجع السابق، ص١٨٩.

(١٥) حيدر غالب، المرجع السابق، ص١٧٩.

(١٦) مصطفى النشار، في فلسفة الثقافة (دار قباء للطباعـة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعـة الأولـى، ١٩٩٩) ص١٦٨.

(17) Alain Touraine, La Crise De la Pensee En France, (Interrogation et parcours sociologique, societes meridians klincksiek, Paris, 1991) P. 129.

(18) Charles Susskind, Bibliographic Social Issues in Technlogy, The software tool works. Multimedia Encyclopedia. (Grolier Electronic Publishing Inc., California, Copyright 1992) P. 12.

(19) Alvin Tofler, the third wave. (Pan Books, London 1981) 95.

(20) Alvin Fofler learning for tomorrow (vintage Bokks, N.Y., U.S.A. 1974) P.151.

(٢١) أحلام السعدي فرهود، الواقع العربي هـل يسـتجيب لـدعاوى الإصـلاح، مجلـة الديمقراطيـة، فصـلية متخصصة (الأهرام، القاهرة، يناير ٢٠٠٤) ص٥١.

(٢٢) ستيفن ديلو، (التفكير السياسـي والنظريـة السياسـية والمجتمع المدني ترجمة ربيع وهبة، المجلس الأعلـى

للثقافة، المشروع القومي للترجمـة، القـاهرة ٢٠٠٣) ص٤٣٨.

(٢٣) المرجع السابق، ص٤٢١.

(٢٤) أحمد زايد، عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنيـة، عالم الفكر (مجلة دورية تصدر عن المجلس الـوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، المجلد ٣٢، يوليـو سبتمبر ٢٠٠٣) ص١٤.

# أهمية التربية الميدياتيكية
# في زمن تعدد وسائل الإعلام

إن عملية الاتصال بين البشر عملية أساسية نحـس ونفهم من خلالها البيئة بما فيها من أنـاس ونضـفي عليهـا وعليهم معاني معينة، ويتأتى تبعا لذلك أن نكون قادرين على التعامل معهم، أي نؤثر فيهم أو نتأثر بهم. وليس ثمة سـبيل إلى هذا التأثر أو ذاك التأثير سوى عن طريق هذه العمليـة الأساسية "الاتصال Communication" والاتجاه إلى التعليم من خلال "التربية الميدياتيكية Educaiton aux medias".

ولا شك في أن الفرد سواء وعى ذلك أو لم يعه فهو يشكل دائما المحور الأساسي الذي يدور من حوله وبواسطته كل ما يتم في المجتمع الإنساني من عمليات اتصالية. ويشهد المجتمع العالمي أنواعا متعـددة مـن التغيـر الاجتمـاعي والثقافي، ومع الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام فـي هـذا الطور من خلال ما تقدمه للمجتمع من معلومـات وبـرامج تنطوي على تأثيرات بالغة في صنع اتجاهاته بوجـه عـام

وخبراته ومهاراته وإمكاناته. ولعل التقدم التكنولـوجي هـو الذي زود الإعلام بوسائل عديدة متنوعة بدأت بصماتها تزداد وضوحا وفاعلية وتأثيرا في حياتنا ومن زاوية أخرى نستطيع أن نقول أن وسائل الإعلام الجماهيري قـد اسـتطاعت أن تحرز تقدما خلال العقد الأخير من القرن العشـرين ومـن خلال القفزات الواسعة التي تمخضت عن التغيـرات التـي تدفقت في هذه الفترة ومنها تطـورات اجتماعيـة وتربويـة وفكرية وعقائدية.

كذلك هناك نمو الاختراعات خاصـة فـي المجـال الإعلامي والاتصال الجماهيري وإذا كان الإعلام يحقق آثاره البالغة فإن هناك مجموعة عوامل تسهم في تحديد طبيعة هذه الآثار منها انتشار وسائل الإعلام بـين مختلـف الجمـاهير ونوعية وسائل الإعلام ومدى قدرتها على نقل وتصوير مـا يدور في المجتمع المحلي والعالمي وإذا كان المجتمع يـؤثر في جوانب عديدة خاصة في مضمون وسائل الإعلام فوسائل الإعلام تؤثر بالتالي على المجتمع بل قد تغير من صـياغة اتجاهاته وأفكاره.

ولكي يتقدم أي مجتمع فإنه يضع يده على خصائص المرحلة العصرية الرئيسـية ويسـتوعب أسسـها الفكريـة وأساليبها ومناهجها فلا يكفي في هذا الصدد مجرد المعرفـة بهذه الخصائص والمقومات. فالعلم والتكنولوجيا والتخطـيط الشامل والتخطيط التربوي والإدارة العلمية والتعليم كلها من عناصر وخصائص هذا العصر وتتطلب هـذه الخصـائص والمقومات لكي تسري في شرايين المجتمع أن تدرس نظـم هذا المجتمع ومؤسساته وتحلل مكوناتها وجزئياتهـا تحلـيلا علميا دقيقًا وذلك لوضـع اسـتراتيجيات لأفضـل الطـرق والوسائل التي تحقق المدخلات المطلوبة.

ولقد أصبح التدفق الهائل في المعلومات بسبب ثورة الاتصالات يمثل تحديا حقيقيا للمهتمين بالدراسات التربويـة والاجتماعية والإنسانية عامة حيث تتنامى الشركات العالمية في دفع تلك الموجات السريعة بأسطول من الخبراء مما حول سكان الكرة الأرضية إلى عدائين في حلبة سـباق لا تنتهـي ومعنى ذلك أن يعيش الإنسان كل عمره وطول عمره يـتعلم بشراهة وإلا سقط سهوا من سجل هذا الكوكب فالمطلوب أن يعرف التلميذ تاريخ صلاح الدين الأيوبي وأن يكـون علـى

وعي بالغذاء الصحي وفي الوقت نفسه ملما بلغـات أجنبيـة وقادرا على التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت وواعيا بأهميـة الحفاظ على البيئة وعدم التلوث ونشر الخضرة مع الإيمـان بحقوق الإنسان وحرية المرأة وتقبل الآخر وغير ذلك [١].

فالتربية تكسب الفرد المعايير المناسبة للنمو جسـميا وعقليا واجتماعيا داخل الأسرة وتتلقف المدرسة الطفل لتكمل تلك التربية فتعمل على تطبيعه بثقافة المجتمع ليزداد وعيـا وتتكون وتتطور شخصيته وبذلك يستطيع أن يجد لنفسه مكانا داخل مجتمعه والمجتمع العالمي ولا يكون متخلفا عن ركب التقدم [٢].

حيث لم يعد مقبولا أمية الأطفال أو الشباب بل أصبح لزاما على الأجيال الجديدة التزود بمهارات وسائل الاتصال.. فمجلات الحائط في المدارس والصور والمطبوعات والأفلام ولعب الـ Games وشاشات الكاميرا والفيديو والكمبيـوتر والإنترنت أمور يجب التدرب عليها منـذ الطفولـة، فتلـك الأجيال هي التي ستخطط استراتيجية الدولة مستقبلا، وعليها أن تكون مؤهلة بشكل تام وأساسـي علـى تلـك الأنظمـة والأجهزة والبرامج، فهي وسيلة العصر لمزيد مـن الـتعلم

والنقد والمعارضة والديمقراطية ومواجهة العنـف واختيـار الأسلوب الأمثل للحياة، فالمستقبل ليس ملكا لنا نحـن، لكنـه ملك لأبنائنا وعلينا أن نكون مقتنعين تماما بأن التربية مـن خلال الميديا هي ضرورة حياتية. إنه عصر الأجيال القادمة حيث يستيقظ التلاميذ في المدارس والطلبة فـي الجامعـات وينامون على كم هائل وجيل كامل من المعارف والمعلومات والإحصائيات والأجهزة والآلات حتى خلال الترفيه ووقـت الفراغ.

وتعتبـر التربيـة الميدياتيكيـة Education aux medias هي بداية آلية التفكير والسلوك العصـري فأحيانـا تكون عن طريق لقاء الصوت أو الصوت والصورة معـا أو رسائل قصيرة أو طويلة. وقد تبين أن كندا في مقدمة الدول التي أخذت بالتربية الميدياتيكية في المدارس ويرجع ذلك إلى عام ١٩٦٠ عندما أدرجت كمادة ضـمن مقـررات التعلـيم وانتشرت المعامل التي تسهل تلك الحصص وتجعلها قريبـة من التلميذ ومثيرة في نفس الوقت.. وفي ١٩٧٠ كانت هناك شبه ثورة إصلاحية أمدت المدارس والمؤسسـات التعليميـة بمزيد من تكنولوجيا التعليم مع تبسيط تناولها لعقلية الشباب.

وفي ١٩٩٠ أصبحت التربية الميدياتيكية جزءا من حياة الطالب حيث يتعلم كيف يختار من برامج وكيف يستعمل تلك الأجهزة والآلات وأسلوب المخاطبة والمناقشة والتحليل والرفض أو الإقناع [٣].

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فترى إحدى اللجان المتخصصة في الكونجرس الأمريكي في الدراسة التي أعدتها عن هذا الموضوع أن ما تستحوذ عليه الولايات المتحدة الأمريكية من حيز التربية الميدياتيكية تتمثل فيه أهميات بالغة ترتبط بحياة الشعب الأمريكي وأمنه القومي؛ إذ إنها تستخدمه في مجالات الإعلام على المستويين الداخلي والعالمي، وفي شتى المجالات العلمية وغيرها ابتداء من تقرير المحصول العالمي للقمح وانتهاء إلى مراقبة دول العالم في صنع أسلحتها [٤].

ومعنى ذلك أن الميديا قد انضمت إلى ترسانة قوة الدولة لتلعب دورا مؤثرا. وقد تميز القرن الحادي والعشرون بمعايير لم يشهدها غيره وهو التوسع المذهل في تطبيقات تكنولوجيا الاتصالات، فلم تعد تلك الوسائل قاصرة على الراديو والتليفزيون أو الفيديو أو الصحيفة بل غطت الأقمار

الصناعية والسماوات وانتشر الكمبيوتر بما يحمله من رسائل الإنترنت بالإضافة للتليفون المحمول مع التطور الذي يضاف له ولغيره من الأجهـزة والبـرامج، بـل وأصـبحت تلـك التكنولوجيا حقا مشاعا في متناول أعداد غفيرة مـن البشـر بصرف النظر عن العمر أو المستوى المادي والاجتماعي.

ويعد التعليم إحدى الأدوات التي تساعد على استمرار القيم وتوارثها ويشير "رالف لنتون Ralph Linto" وغيـره من سائر علماء الثقافة إلى أن الإنسـان لا يخلـق لغتـه أو يصطنع أخلاقه، وإنما يكتسبها اكتسابا من خلال ذلك الإطار العقلي العام ويستوحيهما من نمط الثقافة التي يولد ويعـيش فيها [٥].

ويشير "إيفان إيليش" أن التعلـيم المدرسـي بشـكله الراهن معاد لأي مجتمع حديث حيث إن التعلـيم يجـب أن يدعم النمو الذاتي للدارسين لا أن يؤهل الناس على التكيـف مع حياة الاستهلاك وأنماطها، في الوقت الذي كـان عليـه تدعيم النمو الذاتي لقدراتهم، ويصل "إيليش" إلى نتيجة مؤداها أن العملية التعليمية يمكن أن تتم دون مدارس على الإطلاق وبحيث يصبح المجتمع كله مجالا للتعلـيم وأن تبـرز فيـه

شبكات التعليم Networks Education، وإن العالم القديم الذي تعودنا عليه يتغير بسرعة تحت تـأثير طوفـان مـن الحقائق الجديدة التي تخلقها وتطورهـا ثـورة التكنولوجيـا المعاصرة. تأتي هذه الثـورة علـى محـاور المعلوماتيـة والتقنيات الحيوية وإحلال المواد ثم تأتي تطبيقـات حصـيلة المعرفة والتكنولوجيا الجديدة في مجالات الفضاء، التسـليح بالإلكترونيات الدقيقة، الهندسة الوراثية والطاقات المتجـددة وتخليق مواد جديدة، والاتصال البشري والـتحكم بالإنتـاج المادي، والإدارة العملية [٦].

إن الفرق الزمني بين الاكتشاف العملي واسـتخدامه في مجالات المجتمع المختلفة يعني أننا لم نشهد بعد سـوى جزء من ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة حيـث ظهرت نتائج مبهرة في مجالي الإلكترونيات الدقيقة والكيمياء الحيوية. ففي مجال الإلكترونيات الدقيقة تم تصغير الحجـم وتقليل التكلفة بشكل متزايد وبالذات فـي وحـدات micro-processor وبالشكل الذي يجعلها صالحة للاسـتخدام فـي عديد من المجالات والأنشـطة مثـل الصـناعة، الأعمـال المكتبية، الزراعة، الاتصالات والمواصلات، الطب وربما لم

يحدث منذ اكتشاف البخار في نهاية القرن الثامن عشـر أن ظهر تطور تكنولوجي يحمل هذا العدد الهائل من الاحتمالات والفرص في كافة قطاعات الإنتاج والمجتمع بما فـي ذلـك مجالات صناعة السلاح والتحكم عن بعد وصـناعة الآلات التي تقوم بالوظائف الميكانيكية للإنسان (الروبوت) والأقمار الصناعية وشبكات الاتصالات المعقدة. وإذا كانـت الثـورة الصناعية الأولى قد حررت قدرات الإنسان العضـلية فـإن الإلكترونيات الدقيقة بقدرتها على إدخال (الذاكرة) في الآلات والنظم المختلفة دعمت من قدرات العقل الإنساني وعملـت على تقويتها إلى درجة لم يكن من الممكن تحقيقها من قبـل. أما في مجال الكيمياء الحيوية والهندسة الوراثية تم الاستفادة من نتائجها في الإنتاج والخدمات بما فـي ذلـك الزراعـة والإنتاج الحيواني، والطب والطاقة [(٧)].

وقد أخذ مصـطلح نقـل التقنيـات Technology Transfer في الأعوام الأخيرة معنى جديدا حيـث عملـت بعض الشركات الأمريكية على فتح أسواق لها عبر المحـيط Penetrating overseas Markets مقابـل إغـراء تلـك الدول بإعطائها تقنيات أمريكية حديثة. في الوقت ذاته فـإن

العاملين ومنتجي التقنيات الحديثة فائقة التطور مثل الخلايـا الشمسية Solar Cell وأجهزة الاستريو الفائقة النقاء High-Fidelity Stereos والخلايا الضوئية Photo Cell يعرفون جيدا أنهم رواد في هذا المجال داخـل الولايـات المتحـدة الأمريكية. إلا أن هذه التقنيات قد تم تطويرها والاستعانة بها خارج أمريكا خاصة في مجال الحاسب. ومن المعروف أنـه في عام ١٩٨٩ قام المسـئولون المسـيطرون علـى وزارة التجارة الأمريكية ببيع حواسب آلية إلى الاتحـاد السـوفيتي السابق وذلك رغم معارضة البنتاجون (وزارة الدفاع). ومن الواضح أن العلم والسياسة قد تداخلا بشكل كبيـر حتـى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعتبر المسئولة عن إقامـة صناعة سلاح حديثة في بعـض الـدول، ويعتبـر القـرار الأمريكي الصادر عام ١٩٨٩ بمشاركة اليابان لبناء طائرات مقاتلة معها أبلغ تأكيد علـى علاقـة العلـم وتكنولوجيتـه المتطورة بالسياسة [٨].

ويتسم هذا التطور العلمي بعدد من السـمات، أنـه يحدث بسرعة وبمعدلات متسارعة في خلال حقبـة زمنيـة محددة فإذا أخذنا "الروبوت" علـى سـبيل المثـال نجـد أن

الولايات المتحدة سبقت إلى اكتشاف المعرفة الفنية اللازمـة لتصنيعه وأنشئت أول شركة لصناعته باسـم Animation عام ١٩٦٦ وتم عرضه لأول مرة في اليابان في عام ١٩٦٧ وفي عام ١٩٦٨ تم توقيع اتفاق لنقل الخبـرة التكنولوجيـة المتعلقة به وتصنيع أول "روبوت" في اليابـان عـام ١٩٧٠ ولكن سرعان ما حققت اليابان قفـزات سـريعة فـي هـذه الصناعة في العشر سنوات التالية بما جعلها الدولة الرائـدة، وتؤدي سرعة التطور العلمي إلى إعادة ترتيب مكانة الـدول في العالم. بمعنى أن العلم متصل بالقوة السياسية للدولة. كما أدى التسارع العلمي إلى ضيق المدة اللازمة لتطبيق الأفكار والاكتشافات العلمية على الصعيد العملي فبينما تطلب ذلـك ١١٢ سنة بالنسبة للصورة الفوتوغرافية و٥٦ سنة للهاتف و ٣٥ سنة للمذياع و١٢ سنة للتليفون فإنه تطلـب ٥ سـنوات لأجهزة الترانزستور و ٣ سنوات للدوائر الكاملة وسنة واحدة لأشعة الليزر. وقد أدت هذه السرعة وما أسماه "ألفين توفلر" الوصول المبكر للمستقبل إلى مشكلة تكيـف بـين الإنسـان والعالم الذي يتغير حوله ومزيـد مـن التـرابط والتـداخل فالأوضاع السياسية في الخليج تؤثر على أسعار الـنفط فـي

العالم وعدم الاستقرار في بلدان العالم الثالث تخلق تـداعيات إقليمية ودولية وفي طرح عدد من القضايا المستحدثة مثـل انتشار السلاح النووي، الفقر، قانون البحار، والاتصـالات و التلوث على مستوى العالم، وفي اتساع الهوة بين المتقـدمين والمتخلفين علميا [٩].

لقد تميز العصر الحالي بالتطور السريع في مجـال التكنولوجيا ولم تعد العلاقة بين التطور التكنولوجي والزمني علاقة خطية بل إنها تحولت إلى علاقة أسية. ومن أهم أدوار العلم تدعيم النمو الذاتي للفرد للحاق بسباق المستقبل وذلـك ماتقوم به التربية الميدياتيكية. وهذا ما جعل البعض يشير إلى إمكانية نشر التعليم دون وجود مدارس عن طريق شـبكات التعليم Education networks والتحدث عن عالم يتغيـر بسرعة تحت تأثير طوفان من الحقائق والمعرفة الجدية التي تخلقها ثقافة ثورة الاتصالات المعاصرة..

وقد أحدث تيار الثقافة والشخصـية تـأثيره علـى الدراسات المقارنة عموما منذ وقت مبكر نسبيا كما يبدو ذلك في أعمال "لازويل Laswell" و "روث بنديكت Benedict"

و "مارجريت ميد Marguerite Mead" كذلك "رالف لينتون Linton".

وتساهم التربية الميدياتيكية في عملية اتخاذ القرارات وتقول "ماري تيريز رينـر Marie Therese Renard" إن المشاركة السياسية هي أن يكون للإنسان موقف معـين وأن يقوم بعمل ما، ويصبح الإنسان المشارك جزء فـي جماعـة تعكس معرفة وأحاسيس الآخرين، حيث يجد الفـرد نفسـه يقتسم مع غيره المسئولية ومن هنا لابد له مـن المعرفـة أو العلم أو الوعي فغالبا ما تكون هناك فكـرة أو عـدة أفكـار تحركه للعمل مع غيره [١٠].

ويأتي الواقع السياسي للفرد عـن طريـق وسـائل الاتصال الجماهيري كالقراءة والإذاعة واللقاءات، أو حتـى عن طريق المناقشات الشخصية. والميـل أو النـزوع إلـى السياسة يجعل الفرد أكثر إيجابية للتأثر بآراء السياسيين وما يقرؤه أو يسمعه من موضوعات تتصل بالمسائل السياسـية. ومن هنا فإن الاحتكاك والاتصال الشخصي والمناقشات غير الرسمية تصبح على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لتحفيز الفرد المستعد أساسا أو المؤهل شخصيا للمشاركة. وقد أثبتت

عدة دراسات في بلدان مختلفة أن الأشخاص الذين يشتركون في مناقشات سياسية غير رسمية، أكثر فعالية، في العملية السياسية من هؤلاء الذين لا يشتركون في مثل هذه المناقشات، بالإضافة إلى أن وسائل الاتصال الحديثة تحفز الأفراد على المشاركة والالتزام المدني Civic Obligation وهو يعتبر واجب وطني ويبدأ تكوين ذلك الإحساس من خلال عملية التربية حيث تمتد جذور هذا الإحساس من خلال المجتمع إلى الشخصية، ولكن المجتمعات لا تتساوى في بث مثل هذا الشعور في نفوس المواطنين رغم أنه موجود بدرجة أو بأخرى في كل المجتمعات تقريبا ويرتبط الإحساس بهذا الواجب بمتغيرات المواقف الاجتماعية المتشابهة على المستوى السيكولوجي، فالمشاركة السياسية جزء من عملية التربية المستمرة للإنسان عبر نموه وتطوره[١١].

ويمثل الطلبة الخلايا الفعالة في حركة التطوير وترتبط هذه الفئات بقطاعات أوسع من الشعب تمثل حلقة اتصال بينها وبين الجماهير العريضة، كما أنها تمثل الصف الثاني وراء الصفوة الجديدة التي تمارس العمل بالفعل على المسرح الوطني، ويرفع ذلك القطاع من الشباب، شعار

التطوير والتحديث وتأكيدهم على كفالة تكافؤ الفرص بمعنى إتاحة الفرص للحراك الاجتماعي وترتبط في نفوس هـؤلاء الطلاب الحاجة إلى التنمية وإلى الصعود من خلال تحصـيل العلم من مؤسساته الرسمية [١٢].

وقد تبقى المشكلة معلقة حتى نجـد الإجابـة علـى التساؤل الهام وهو موقف المعلمين والمدرسين في المـدارس والجامعات في العالم العربي من منظومة التربية الميدياتيكية.

## ونجد أنه لزاما أن يكون هناك:

١- خطة متكاملة لتدريب هيئة التـدريس علـى مختلـف المؤسسات التعليمية بدءا من الحضانة وحتى الجامعة بلا مقابل حتى يستطيع القائم بالتـدريس فـي تلـك المؤسسات أن يتعامل مع تلاميذه من موقع المـدرب الواعي.

٢- من المفيد زيـادة المـؤتمرات والنـدوات والبـرامج الإعلامية التي تساهم في التوعية في مجال التربيـة الميدياتيكية.

٣- تطبيق سياسة تعليمية متكاملة تسـهم فـي اسـتعمال التربية الميدياتيكية بشكل واسع.

٤- تشجيع التمويل المادي من خلال المتبرعين داخل المجتمع أو أولياء الأمور ورجال الأعمال للحصول على الأجهزة والآلات المطلوبة للتعلم.

٥- تأهيل جماعات صغيرة تطوعية للعمل كمدربين بما يساهم في التوسع في التربية الميدياتيكية.

٦- التوعية من خلال الجمعيات الأهلية غير الحكومية للمساهمة في التوعية بأهمية التربية الميدياتيكية.

# المراجع:


(1) http:/ wwwedu.ge.ch/co/critic/sitesped.html.
(2) http;://www.cetec-onfoorg./JLMichel/These.education.html.
(3) http://www. Media-education_overview.cf

(٤) سامية خضر صالح. البعد السياسي للجامعة والأمن البيئي (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة ١٩٩٦) ص٢٥٠.

(٥) قباري محمد إسماعيل،علم الاجتماع والأيديولوجيات. (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٩) ص١٣٤.

(6)http://www.inrp.fr/Acces/Biennale/5biennale/Contrib/100.htm.

(٧) علي الدين هلال، آفاق المستقبل وتطوير التعليم، منتدى الفكر العربي، التعليم في الوطن العربي (مستقبل النظام العالمي، وتجارب تطوير التعلم، الطبعة الأولى، عمان، أكتوبر ١٩٨٩) ص٥٣.

(8) Charles Susskind, Bibliograph Social Issues in Technology. The software tool Works, Multimedia. Enycyclopedia. (Grolier Electronic Publishing Inc., Califormia, Copyright 1992) P.12.

(9)http://www.Eip-cifedhop.org/publications/bullein93/truchoti.html.

(10) Marie Therese kenara, La participation Des Femmes a La Vie Civique. (Collection De La Vie Sociale, Les Editions Ouvrierese, Paris, 1965) P.P.91-92.

(١١) إسماعيل علي سعد، مقدمـة فـي علـم الاجتمـاع السياسي، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٧) ص٣٧٣-٣٧٥.

(١٢) محمد الجوهري، علم الاجتماع وقضايا التنميـة فـي العالم الثالث. (سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب الحادي والعشرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠) ص٢٦٦-٢٦٧.

# الفصل الثالث

- تنمية المرأة مدخل لمواجهة المشكلة السكانية
- معًا لمساندة المراهقين لحل مشاكلهم
- رجال تحمسوا لتعليم المرأة المصرية

# تنمية المرأة مدخل
# لمواجهة المشكلة السكانية

عندما يكون اختيار موضوع الندوة تنمية المرأة مدخل لمواجهة المشكلة فذلك معناه الاهتمام بالمرأة والوعي بدورها من المهم أن نوضح أن ذلك الاهتمام لم يأتِ نقلا من مجتمع خارجي، بل هو مستعار من مصر ذاتها ومن حضارتنا ومن تاريخ مصر الاجتماعي الطويل. حيث إن مصر رفعت دائما من قدر المرأة لأكثر من سبعة آلاف سنة حتى هبت على البلاد رياح حولت جانبا من ثقافتها الراسخة إلى أشلاء ثقافية، وإن كان المعدن الحقيقي ما زال موجودا فمصر لم تعرف "وأد البنات" وكان ذلك معروفا في الجزيرة العربية قبل الإسلام، ولم تعرف حضارتها حرق الزوجة حية بعد ترملها مثل حضارة الهند، ولم تعرف مصر احتقار النساء والنظر إليهن في صورة أدنى أو إطلاق كلمات مثل الشيطان على المرأة مثلما كان يحدث في اليونان.

وفي قول الحكيم بتاح لابنه يقول: أعد لنفسـك بيتـا واتخذ لنفسك زوجة تكون بمثابة سيدة لقلبك وأشـبع جوفهـا واستر ظهرها وإن علاج أعضائها هو العطر، واجعل قلبهـا فرحا ما دامت على قيد الحياة فهـي بمثابـة حقـل مثمـر لزوجها[١].

ونداك على ذلك بما قاله "ماكس مار" من أنـه لـيس ثمة شعب قديم أو حديث رفع منزلة المرأة مثلما رفعها سكان النيل، فالنقوش القديمة تصور النساء يأكلن ويشـربن بـين الناس ويقضين المهام في الشوارع من غير رقيب عليهن أو سلاح في أيديهن ويمارسن الأعمال الصـناعية والتجاريـة بكامل حريتهن. ولقد دهش الرحالة اليونانيون من هذه الحرية حتى أن "ديودور الصقلي" سخر من هذه الحرية حيث كـان للنساء حق الإرث والتملك وهناك وصية من عهـد الأسـرة الثالثة توصي بذلك [٢].

ويجدر الإشارة إلى موقف السيدة دميانة التي رفضت الإذعان لعقيدة المحتل الروماني فكان جزاؤها هي والأربعين عذراء الاستشهاد بعد التنكيل بالقرية وأهلهـا. كـذلك فـإن الإسلام قد أعطى للمرأة حق التملك والتعاقد والاحتفاظ باسم

أسرتها وحق العمل كما في قوله تعالى: ( للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ). كما قدم القرآن الكريم مثلا يعتبر من أعظم صور الحكم الديمقراطي عندما قدم الملكة المحنكة سياسيا في شخصية ملكة سبأ "إذ جاءها كتاب النبي سليمان عليه السلام فجمعت أهل الرأي والمشورة في مملكتها قالت: يا أيها الملأ ألقي إلي كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم ا الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي وائتوني مسلمين. قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين" [٣].

وهناك العديد من القصص في القرآن الكريم التي بين فيه بوضوح مبدأ المشورة والمشاركة والتي كان للمرأة وضع متميز فيه ومن تلك القصص قصة ابنة شعيب التي أشارت على والدها أن يستأجر موسى عليه السلام: "إن خير من استأجرت القوي الأمين" [٤].

أيضا هناك السيدة التي راجعت عمر في موضوع المهور فقال عمر أصابت امرأة وأخطأ عمر. ولا أستطيع أن أقول أن الإسلام قد أضاف لحقوق المرأة المصرية ولكن تم

الترحيب به لأن قيمه سايرت قيم المجتمع المصري بما في ذلك اشتراك المرأة في شئون الحياة اجتماعيا وسياسيا. كذلك حث الإسلام على تعليم المرأة وجعله فريضة مثل كل الفرائض الدينية وليس ترفا فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة [٥].

وقد مرت على البلاد مراحل مظلمة ويعتبر أكثرها انحطاطا مرحلة الفتح التركي للبلاد في عام ١٥١٧ حيث تفشى الجهل وأهملت معاهد التعليم واستولى الحكام على دخل أوقافها وتشرد معلموها وتم نقل العمال والحرفيين النابهين إلى الأستانة [٦]. ولولا بقاء الأزهر لفقدت مصر كل صلة بين حاضرها وماضيها ولم تعد المرأة تجد لنفسها متعة غير الالتقاء بصديقاتها في الحمامات الشعبية العامة [٧].

من ناحية أخرى فإن مفهوم التنمية: هي عملية تغيير مقصود وموجه للبناء الاجتماعي بمختلف أجزائه وعناصره وهي الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة والاهتمام بالموارد البشرية ذكورا وإناثا. وإن الزيادة السكانية والانفجار السكاني إجهاض لعناصر التنمية وإنه نتيجة للتقدم الطبي والرعاية الصحية يرتفع متوسط عمر الإنسان وإذا كان المجتمع غير

واع بالتنظيم الذي يحدث ما يسمى بالانفجار السكاني فهنـاك زيادة في المواليد وانخفاض في نسبة الوفيات سـواء بـين حديثي الولادة أو كبار السن. وتدخل العلاقة ما بين السـكان ومعدل النمو وتوزيع هؤلاء السكان من ناحية وبناء المجتمع من ناحية أخرى في علاقة جدلية تؤثر على التنمية بالسلب. وقد استطاعت الدول المتقدمة ضبط النسل من خلال الطرق المبتكرة في تحديد حجم الأسرة، ولكن هنـاك سلسـلة مـن العناصر الاجتماعية والسيكولوجية تدعم الجهود لإنجاح تلك المشروعات التي تدخل في نطاق الخطط القوميـة وخاصـة بالنسبة للمرأة مثل وعي المرأة بنفسها وبدورها واستيائها من الحمل المتكرر وتحرير شخصيتها من مسئولية قيود الإنجاب المتواصل.

ويمثل السكان العنصر الدينامي المتغير لأي شـكل من أشكال البناء الاجتماعي.. وبدون وجود العنصر البشري ينتفي وجود البناء الاجتماعي ولا يمكن أن توجـد ظـاهرة اجتماعية أو سياسية أو اقتصـادية إلا ولا بـد أن تخضـع لظروف السياسات السكانية القائمة داخل ذلك المجتمع حيـث إن العنصر البشري هو أساس أي تغيير وأساس أي تشـكيل

سواء داخل المجال الفكري أو المادي. كـذلك أي نقـص أو زيادة في السكان يؤثر على البناء الاجتماعي كـذلك البنـاء الاقتصادي والثقافي. وإن فكرة التحكم في عدد السكان هـي فكرة قديمة لجأ إليها الإنسان منذ زمن سحيق ليتم التلاؤم بين أعداد الأفراد وبين موارد الثروة الطبيعية التي تحيط بهـم. وكانت أساليب "وأد الأطفال" أي قتلهم وهم في المهد وأيضـا قتل المسنين والشيوخ والمرضى بحجة عدم مشاركتهم فـي الإنتاج الاقتصادي معروفة بين بعض شعوب العـالم القـديم عرفها اليونان والرومان وباقي شعوب البحر الأبيض.

وقد ظهرت اتجاهات لتحسين صفات الإنسان فهناك محاولات بذلها لإيجاد مبادئ وأسس علمية لتحسـين نسـله وصفاته الوراثيـة والبيولوجيـة ويعتبـر كتـاب داروين (Charles Darwin) أصل الأنواع (١٨٥٩) مـن أهمهـا، والذي أشار فيه إلى حفظ السلالات المفضلة في الصراع من أجل الحياة وركز "داروين" على ما يسمى بالتغـاير والتـي عرفت في اللغة العادية بالبقاء للأصلح [٨].

وأحيانًا يسير الخطاب الديني في طريـق معـاكس لسياسة الدولة في مواجهة المشكلة السكانية حيـث لا يضـع

رجل الدين في اعتباره تلك (الإشكالية الخطيرة) في حين أن الاقتصاديين والأطباء والـ ديموجرافيين وعلمـاء الاجتمـاع والنفس هم الذين يقومون بعرض الحقائق العلمية وتوضيحها ومن ذلك مثال: جاء في جريـدة الأخبـار تحـت عنـوان (س.و.ج) من مواطن يقول إن تحديد النسل من الأمور التي يشتد حولها الخلاف في (قريتنا) فإمام المسجد الشرقي يقـول بإباحته وإمام المسجد الغربي يعلن أنه حرام، والرجل يقع في حيرة وبلبلة فكرية وطلب أن يعرض موضوعه على الشـيخ الشعراوي، وهو يرد رحمة ا عليه بأنه قد يرجع التحديـد إلى المخافة على صحة المرأة وعدم قـدرتها علـى تحمـل الحمل، أو مخافة المرأة علـى اعتـدال جسـمها أو ضـيق المنزل، أما إذا كان التحديد بسبب الرزق... فالرزق من ا وا هو الرزاق [٩].

ونحن جميعا مقتنعين أن الرزق من عند ا ولكـن أيضا إن ا قد أمرنا.. ألا نلقي بأنفسنا إلـى التهلكـة ( ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة ). ثم إن "ا لا يغير ما بقوم حتـى يغيرا ما بأنفسهم" والمدهش أنه في نفـس الجريـدة هنـاك

إعلانات بملايين الجنيهات تدعو لتنظيم وتحديد النسل كـذلك من خلال شاشة التليفزيون.

وفي كلمته التي وجهها إلى الأمة الإسلامية العربيـة بمناسبة الاحتفال بليلة القدر في ٢٠٠٣/١١/٢٠، قال الرئيس حسني مبارك: أخص بالـذكر مشـكلات الأميـة والزيـادة السكانية وهي مشكلات تحد من قدراتنا على تحقيق ما يحثنا عليه ديننا الحنيف من رفعة وتقدم.

وتأكيدا لإشارة القيادة السياسة تؤكد الدراسات العلمية على خطورة تلك المشكلة حيث إن كثيرا مما نراه الآن مـن جرائم مثل الأب الذي يكوي ابنته بالنار ويعـذبها وعمرهـا سنة ونصف، والأم التي تقتل أولادها حرقًا، هي نتاج لتوابع الزيادة السكانية. كذلك ظاهرة أطفال الشوارع التي قد تتحول إلى ظاهرة عصابات الشوارع هي كلها قنابل موقوتة.

ويشير تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٠ أن مصر تحتل المركز ١١٩ عالميا وفقا لدليل التنمية البشرية، كما احتلـت المركز ٦٨ عالميا في مقياس التمكين الإنساني، والمركز ٥٥ في دليل الفقر البشري ونشير إلى انخفاض نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالدولار [١٠].

وقد شهدت الدول النامية نموا كبيرا في عدد سكانها دون أن تقترن ذلك في معظم الأحوال بالأرض الزراعية مما عمل على تفاقم مشاكل عديدة فكثير من البلدان النامية التـي كانت تصدر المواد الغذائية فيما مضى تتطلع الآن إلى فائض هذه المواد في الدول المتقدمة حتى تضمن لسكانها حدا أدنى للمعيشة، كما لم يعوض سير التصنيع في تلك البلاد قصـور مواردها الطبيعية المتاحة أو المستغلة عن مسـايرة الزيـادة المطردة في عدد سكانها، وإن المظاهر الأساسـية لمشـكلة الضغط السكاني في البلدان النامية تأخذ طابعا عنيفًا، وتبـدو مظاهر التأخير الاقتصادي في طبيعة الهيكـل الاجتمـاعي وهيكل القيم وعدم ملاءمـة البيئـة الاجتماعيـة والثقافيـة لمقتضيات النمو الاقتصادي حيث يكتنف الهيكل الاجتمـاعي الجمود، وتؤدي التقاليد الثقافية لمقتضيات النمو الاقتصـادي حيث يكتنف الهيكل الاجتماعي الجمـود، وتـؤدي التقاليـد الطبقية المظهرية في كثير من البلدان النامية إلـى تهافـت الأفراد على الأعمال الكتابية وإن قل إيرادها عن احتراف أية صناعة لعدم تقدير العمل اليدوي واحترامه [١١].

وقد سجل نمو السكان حوالي ٦٩ مليونا ٢١٣ ألـف نسمة بنسبة ٥١,٢% للذكور مقابـل ٤٨,٨% للإنـاث فـي مصر وحسب تقارير الجهـاز المركـزي للتعبئـة العامـة والإحصاء بتاريخ أول يناير ٢٠٠٣. وقد أثر هذا الانفجـار السكاني " الازدياد المستمر في الضـغط السـكاني" علـى الموارد الاقتصادية المحدودة وبصفة خاصة علـى الأرض الزراعية، بوصفها منبع الموارد الغذائية الرئيسي ومصـدر عمل الأغلبية العظمى من السكان، والواقع أن تاريخ مصـر الاقتصادي الحديث يمكن وصفه بأنه تاريخ الصـراع بـين الزيادة السكانية والأرض الزراعية فمنذ بداية القرن وحتـى الآن والرقعة الزراعية تتراوح بين ٥ و ٦ ملايين فدان بـل وزحفت المساكن والمنشآت الصناعية على أجود الأراضـي الزراعية حتى بلغ معـدل التنـاقص السـنوي للأراضـي الزراعية حوالي ٤٠ ألف فدان من أخصب أراضي الـوادي وإذا استمر الأمر على ذلك فإن مقـدار الأرض الزراعيـة المتوقع استنزافها ستصل إلى أكثر من مليون فدان على أقل تقدير في بداية عام ٢٠٠٤ [١٢].

ويشير الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه "انتهزوا هذه اللحظة" إلى أن العالم العربي مليء بأكثر من لبنان بسبب ما يعانيه من مشاكل ديموجرافية واقتصادية وسياسية وفي مقدمتها المشكلة السكانية بشكل خاص في العالم الإسلامي ويشير إلى أن منطقة الشرق الأوسط ستضاعف عدد سكانها الحالي قبل حلول عام ٢٠١٠ وأن معدلات النمو الاقتصادي لن تستطيع استيعاب هذه الزيادة مما يهدد بتدهور حاد في مجالات التنمية الاقتصادية والسياسية [١٣].

وأن الزيادة في ٢٠ سنة بمعدل مليون ونصف المليون مواطن كل سنة تعني زيادة ٣٠ مليون مواطن تقريبا حجم ٥ دول أوروبية مثل النمسا (٧,٥ ملايين) الدانمارك (٥,٢ ملايين) النرويج (٤ ملايين) السويد (٨ ملايين) وسويسرا (٦ ملايين) إن سكان هذه الدول الخمس لا يتجاوز ٣٠ مليونًا ونحن سنزيد خلال ٢٠ سنة بهذا الحجم ومع ذلك فنحن بالعدد الكبير نعتبر من دول العالم الثالث وهم بعددهم القليل يعتبروا سكان دول العالم القوي والغني والمتقدم ولا شك أننا لو كنا استطعنا أن نحافظ على رقم ٣٠

مليونًا لكان نصيب الفرد أعلى والخـدمات أجـدى وكـان سينعكس ذلك على الأخلاق والسلوكيات. وإن مصر تحتـاج إلى بناء ٦٥ فصلا دراسيا كل يوم للحفاظ على معدل التكدس الحالي. وإن الانفجار السكاني يؤدي إلى تدهور الخصـائص السكانية "ويقول صبحي عبد الحكيم خطورة المشكلة السكانية قد تم الإشارة إليها من قبل الباحثين منذ عام ١٩٣٦" (١٤).

وقد خلقت الزيادة السكانية مشكلات أخـرى مثـل الهجرة من الريف إلى الحضـر، مشـكلات تلـوث البيئـة فالازدحام له دوره المعروف في سرعة وانتشار الأمـراض المعدية وزيادة المخلفات وصعوبة تصريفها.. وقد أشـارت عديد من التجارب والأبحاث إلـى الأضـرار والأمـراض النفسية والاجتماعية والتي نشأت من ارتفاع معدل التـزاحم مثل الاكتئاب النفسي، إدمان المخدرات، البطالة، الشراسة في السلوك وارتفاع معـدل الجريمـة والاغتصـاب، وانتشـار السرقات، وارتفاع معدل الوفيات من الأطفال وعديـد مـن الاختلالات النفسية والعقلية كما أن زيادة التلوث البيئي تؤدي إلى الزيادة الطردية مع الانفعال وزيادة الميـول العدوانيـة والجريمة، وذلك من خلال تفاعل الكيمياويات التي تؤدي إلى

العمل للتدمير والسلوك الشاذ والثأر والانتقام والذي سمي في جملته بالسلوك الانفعالي [١٥].

ولقد بلغت نسبة الأطفال في مصـر وفقـا لتعـداد ١٩٨٦ حوالي ٤٠% من إجمالي عدد السكان وهـي نسـبة مرتفعة إذا قورنت بالنسبة السائدة في الدول المتقدمـة ٢٥% في المتوسط وعلى حين يوجد أربعة معالين لكل خمسة أفراد في العمر من ١٥-٦٤ سنة في الدول النامية. هناك طفـلان معالان فقط لكل خمسة أفراد في سـن العمـل فـي الـدول المتقدمة. ومن أسباب الخلل الاقتصادي وزيادة نسبة أفـراد غير منتجين يعتمدون على غيرهم [١٦].

وقد أدت ظاهرة الزيادة السكانية إلى تفـاقم مشـكلة الأمية مما يؤكد أن السياسية التي تبذل لعلاج مشكلة الأمية لم تفلح نتيجة عدم النجاح في مواجهة المشكلة السكانية أي وقف نزيف الاستنزاف لكل الخطط الموضوعة لعلاج عديد مـن المشاكل من أهمها مشكلة الأمية. فهناك الأمية الكبرى وهي أمية المجتمع والتي يمكن تسميتها بالأمية الحضارية، الأميـة الصغرى وهي أمية الأفراد وهي الأمية الأبجديـة والعلاقـة بينهما وطيدة وعضوية فالأمية الأبجدية الابن الشرعي للأمية

الحضارية والأمية الحضارية هي أساس مشكلة الدول النامية وهي وليدة التخلف عن النمط الحضاري المعاصر، وهنـاك أهمية لانتهاج سياسة لمحو الأميـة فـي هـذين النمطـين الحضاري والأبجدي وهي أكبر تحدٍ للتنمية السياسية [١٧].

وقد اتضح أن ٥٠% من القوى العاملة في مصر لا تعرف القراءة والكتابة (أمية) أما الـذين يعرفـون القـراءة والكتابة فقط (بدون شهادات) فتصل نسبتهم إلى ٢٠,٥% من الإجمالي ٧٠% من إجمالي القوى العاملة وهم أميـون فـي غالبيتهم وأن نسبة منهم تعرف مجرد القراءة والكتابـة هـذا الوضع يؤدي دون شك إلى انخفاض معدل القراءة والكتابة، كما يؤدي إلى انخفاض معـدل الأداء الاقتصـادي وتـدني قدرات العاملين وعدم استطاعتهم اسـتيعاب فنـون الإنتـاج الحديث ويرجع ارتفاع مستوى الأمية إلى الزيادة السـكانية السريعة، وإلى تقليل الاستثمارات الموجهـة إلـى التعلـيم الابتدائي والمحصلة أن نصف عدد العاملين أمي وأن حوالي ٢٠% يعرفون مجرد القراءة والكتابة وبذلك تكون إنتاجيـة الاقتصاد المصري ضعيفة بالمقارنة بكثير من الدول الناميـة في جنوب شرق آسيا وغيرها من الدول [١٨].

ويتضح من إحصائيات الجهاز المركـزي للتعبئـة العامة والإحصاء تعداد ١٩٨٦ أن نسبة الأمية في المجتمـع المصري بلغت ٤٩,٤% موزعـة بـين الـذكور ٣٧,٧% والإناث ٦١,٤% كما تشير هذه الإحصاءات إلى ارتفاع نسبة الأميين في المناطق الريفية عنها في المناطق الحضرية هـذا بالإضافة إلى تفاوت النسب بين الجنسين وارتفاع الأمية بين الإناث عن الذكور وتعتبر مشكلة الأمية من أخطر المشـاكل فهي سبب الأمية الحضارية لأنها تشمل الجزء الأكبـر مـن السكان كما أنها لا تقتصر على جنس أو سن معينة بل تشمل جميع فئات السن والجنس وهي ترتبط بكثير مـن المشـاكل مثل عدم استيعاب الأطفال في سن الإلزام. هذا إلى جانـب ظاهرة التسرب الدراسي مع عدم تـوفير المنـاخ الملائـم لاستفادة الأطفال من فرص التعليم، كما تـرتبط بالجوانـب الاقتصادية وندرة الموارد المالية ولمواجهة هـذه المشـكلة تحاول بعض الجهود الحكومية والشعبية والمبعثرة احتـواء هذه المشكلة والتقليل من آثارها، بالإقدام على فتح مراكـز لمحو الأمية في القرى ولكن سرعان مـا يبـدأ المشـروع بحماس زائد وينتهي في مهده قبل أن يكتب له النجاح [١٩].

إن خطورة مشكلة الأمية في المجتمع المصري بوجه عام وما يترتب عليها من آثار ضارة تجهض برامج التنميـة الشاملة وتقف عثرة أمام المشاركة الاجتماعية والسياسية هذا بجانب ارتباط مشكلة الأمية بالزيادة السكانية الكبيرة.

وإن استغلال طاقات النساء بدلاً من إهمالهن يسـاعد لمواجهة عديد من المشاكل، فالمرأة عليها التعامل مع نسـق الحي ونسق المدينة وهي تتعامل في البداية مع نسق الأسـرة وذلك من خلال الالتزام بالجهود المكثفة لمواجهـة مشـكلة الوطن واستثمار أساليب العلم وتجنب تسرب طاقتها.

وبذلك تصبح متفاعلة ومندمجة في همـوم الـوطن للخروج من عنق زجاجة المشاكل إلى بر الأمان الاجتماعي. وقد اهتمت منظمة اليونسكو بإعلان توصياتها التـي تؤكـد اهتمامها بتعليم المرأة حيث جاء أن تعلـيم الإنـاث يحسـن الوضع الاجتماعي للمجتمع ثلاث مرات عن تعلـيم الـذكور فالمرأة المتعلمة تعمل على تخفيض عدد مرات إنجابها كمـا أنها هي المسئولة عن التغذية والصحة والزراعة كذلك تربية الأطفال وقد ثبت أن أطفال المرأة المتعلمـة أقـل تعرضـا للمرض والوفاة كما أن حظهم في الحياة أفضل. فالمرأة التي

حصلت على قسط من التعليم تستطيع أن تحصل على إمكانات أعلى مرتبة لأولادها ورغم الاهتمام بالتعليم الابتدائي للمرأة على مستوى العالم منذ عام ١٩٧٠ فإن المسافة ومن خلال بيانات اليونسكو ومن بين ٨٨٩ مليون أمي في العالم هناك ٥٦١ مليون امرأة أمية ويتضح ذلك أكثر في المناطق الريفية والمتخلفة حيث ترتفع أمية النساء في بعض المناطق المتخلفة خاصة في آسيا [٢٠].

ولقد أخفق نموذج المرأة الحديثة المستورد في مواجهة مشكلاتنا والنتيجة ما انتهت إليه التنمية في واقعنا من الانسياق في الاستهلاك الذي لا ضابط له، وظهور عديد من أزمات الطاقة وتناقص الموارد، وتلوث البيئة، هذا إلى جانب الأزمات الاجتماعية والإنسانية التي بدأت تزعزع الاستقرار الداخلي وتلقي بأوزارها على المجتمع وهناك موانع تقف عقبة أمام الدور المنتج للمرأة، وتؤكد استراتيجية العمل الاجتماعي في الوطن العربي على أن التنمية عملية إرادية لصياغة بناء حضاري اجتماعي متكامل، يؤكد فيه المجتمع ثقافته وهويته وذاتيته وإبداعه.. والواقع أن الهيمنة الثقافية الاستعمارية قد تغلغلت في أعماق تاريخنا الاجتماعي ومن

هنا أضعفت طاقتنا الإبداعية والتجديدية. حيث تحتاج النهضة إلى مشاركة الرجل والمرأة في صنع الحياة بتفاعـل أبنـاء الأمة في إطار علمي تنظيمي [٢١].

لذلك لابد من تكوين اتجاه إيجابي نحـو المشـاركة الفعلية النسائية في برامج ومشروعات المواجهة السكانية ولا بد من اقتناع المجتمع بأهمية المشاركة النسائية لحماية البيئة من الانفجار السكاني وقد تعددت الدراسات التي تهتم بحماية البيئة ففي دراسة "وهاويل Wohwel" عن علم الجمال البيئي توصلت الدراسة فيه إلى أن الاهتمام بالمرأة مـع الاهتمـام بالمعايير الجمالية للبيئة وتصميمها وتخطيطهـا وفقـا لهـذه المعايير يمثل مصدرا للمشاريع الإيجابية نحو المجتمع وفـي دراسة "هايزكون Hayesecone" عن دور المرأة في تنمية السلوك المحافظ على الطاقة في المنـازل كالميـاه والغـاز والكهرباء توصلت الدراسة إلى أن دور المرأة في اسـتخدام الأنماط المختلفة من المدعمات الإيجابية. كل تلك العناصـر لها دور إيجابي على استثمار الطاقات النسائية مـن ناحيـة وحل مشاكل البيئة المزدحمة وحمايتها من التلوث من ناحية

أخرى مما يؤدي إلى تنمية الوعي وحل عديد من المشـاكل بأسلوب علمي سليم [٢٢].

ويعد غياب المشاركة الشعبية النسائية هي من أهـم المعوقات التي تواجه تجربة التنمية في مصر وترتبط عملية المشاركة بالوعي.. ثم إن عمليات الإصلاح والتـرميم لـن تجدي ولن تسفر إلا عن تراكم التخلف، كما ترتبط عمليـات التغيير الجذرية لاقتلاع جذور التخلف بـأطر قـادرة علـى تفسير عمليات التغيير وما يترتب عليها من صـراع القـديم والحديث لتحل محل الأفكار التي سيطرت علـى عمليـات التوجيه والتفسير لمدة طويلة. كذلك هناك أهميـة لضـرورة تدخل الدولة وتختلف درجة التدخل طبقًا للأسلوب المأخوذ به وللأوضاع المجتمعية القائمة. وإذا كانت لتلك المواجهـة أن تحقق أهدافها فلابد أن تضم كافة الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.. وكذلك تضاف الأبعاد السيكولوجية فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي.. ولا ينفي مبدأ الاعتماد علـى الذات الاستعانة بالخبرات الأجنبية في حدود معقولـة. كمـا يجب الأخذ باستراتيجية إشباع الحاجات الأساسية لتوضع في المقدمة كما تتطلب هذه الاستراتيجية التصدي للطبقات التـي

تعوق عملية الإنتاج والتنمية ويكون ذلك لحساب الجمـاهير العريضة والاعتماد على الجماهير الواعية [٢٣].

ومن المعروف أن انتشـار الأميـة لا يسـاهم فـي مواجهة المشكلة السكانية فقد أثبتت الدراسات العلمية أن الأم الأمية يرتفع عدد أطفالها عن الأم المتعلمة كمـا أن الزيـادة السكانية تزيد من نسبة التلوث. وفي دراسة قام بها "كـالهون Calhun" خلال الأعوام (١٩٦٢-١٩٦٦) وأجري فيها عددا من التجارب على أربع فئران حيث قام بفصل ذكـر وأنثـاه بطريقة ما وعمل على ضبط عناصر معينة من غـذاء إلـى معيشة في حين أنه ترك الفأر الآخر وأنثـاه دون ضـوابط وزاد عدد الفئران في نفس المكان وأضـاف عـاملا آخـر الأصوات المزعجة وبمتابعة الحالة الأولى تبين أنه لم يطرأ تغير يذكر على الحالة الأولى. في حين أن الحالـة الثانيـة ظهرت أعراض غريبة على الفئران فلم تراع الإناث أطفالها وظهر الإعياء والهزال الشديدان والضعف عليهن، كما ازداد الذكور عنفا وارتفع عدد وفيات الفئران الرضع وعامة انتشر الشذوذ بين الذكور.. مما يؤكد أن الزيادة السكانية تعتبر بيئة

صالحة لنشر بذور الأمراض الاجتماعية حيث يزداد التلوث ويصاحبه أخطار لا تساهم في تنشئة مجتمع صالح [٢٤].

وقد تؤدي الآثار السيئة للتعليم خاصة للمـرأة إلـى اختفاء الأمن المجتمعي حيث تتزايد القدرة التناسلية للإنـاث وترتفع معدلات الإعالة والنفقات اللازمة لتـوفير الخـدمات التعليمية لذلك. وهناك بعض الحكومات التي تبـذل جهـودا جادة للحد من ارتفاع معدلات المواليد عـن طريـق إقنـاع النساء بالعمل حتى في الصناعات الصغيرة وذلك ما تستطيع أن تشجع عليه فتيات الجامعة حينما يقمن بعملية التوعية، في الكفور والنجوع والمجتمعات المتواضعة الحال [٢٥].

وقد عملت الهند، الصـين، باكسـتان، أندونيسـيا، سيريلانكا، كوريا الجنوبية، ماليزيا، سنغافورة، نيبال علـى تشغيل النساء فنجحت في الحد من معدلات المواليـد. وقـد ساعد ذلك مع عوامل أخرى إلى تحويل كوريا ذات الـ ٤٣ مليونا إلى أن تكون قيمة حجم صادراتها ٧٢ مليـار دولار، وتايون ذات الـ ٢٠ مليونا وقيمة حجم صادراتها ٧٦ مليار دولار وهونج كونج أقل من ٦ ملايين وقيمة حجم صادراتها ١٠٠ مليار دولار وسنغافورة ذات الـ ٢٨ مليونـا وقيمـة

حجم صادراتها ٥٩ مليار دولار أما مصر والتي يقترب عدد سكانها من حوالي الـ ٧٠ مليونا عـام ٢٠٠٣ فـإن قيمـة صادراتها في حدود ٤ مليارات دولار [٢٦].

ومن الملاحظ أننا لا زلنا بعيدين عن مجال السيطرة على التغير الثقافي والاجتماعي، إذ كيف نستطيع أن نـدعم بعض التغيرات إذا كانت تتفـق وبعـض القـيم الإنسـانية المرغوبة أو نمنعها إذا اتخذت اتجاهـا خاطئـا، إن النمـو السكاني الذي فاق المحتمـل والممكـن للـنظم الاقتصـادية والتعليمية والصحية يعتبر في الحقيقة مثالا ملائما في هـذا المجال، إذ نجد أن القيم العامة والشعبية لا تتفق تمامـا مـع القيم الحكومية في هذا الميدان، في الوقت الذي لا يزال فـي تغيير هذه القيم أمرا مجهولاً أو متعذرا إلى حد كبير جـدا، كما لا تزال بعض الجهود التي تبذل في هذا الاتجـاه علـى مستوى المجتمع المحلي وخاصة في نظام التعليم غير مؤتيـة ثمارها [٢٧].

ولكن مشكلة الزيادة السكانية والأمن البيئي أصبحت مؤخرا جزءا من صميم الضمير الجماهيري بـل تسـابقت العقول العلمية للبحث عن أفضل الوسائل التي توفر للأجيال

القادمة بيئة صالحة. وقد تختلف المشكلة داخل الدول الفقيرة عنها داخل الدول الصناعية المتقدمة. فالدول الفقيـرة تهـتم بمحاربة أزمة الجوع والاضطرابات التي قد تخلقهـا تلـك الأزمة، أما الدول الغنية فإن أكثر ما يؤرقهـا فـي الزيـادة السكانية هو تلوث البيئة وخلق الفوضـى وإفسـاد النظـام الاجتماعي ثم تأثر نوع الحياة.. وإن جودة ومستوى الحيـاة يتأثرا تبعا لنجاح أو فشل الخطط الموضوعة.

وتؤثر مشكلة الانفجار السكاني على تفـاقم مشـكلة البطالة والشباب هو أكثر الفئات تأثرا بمشكلة البطالة بل قـد يعد هو المتضرر الأول أساسا بتلك المشكلة لذلك فإن الوعي بالعناصر المسببة لها يعتبر مساهمة فعالة في عـلاج تلـك المشكلة المؤثرة على الأمن البيئي والتي قد يكـون لهـا رد فعل، ليس في صالح الدولة بل قد تساعد مشاكل البطالة على تفاقم مشاكل أخرى مثل الجريمة، والتعصب والتطرف.

ويعد ارتفاع معدل النمو السكاني والتغييـرات فـي الهيكل العمري للسكان مسئولاً عن تلك المشكلة وقد اتبعـت بعض الدول التي نجحت في تقييد معدلات النمو السكاني عن طريق استخدام الحوافز النقدية الإيجابية والسـلبية لتشـجيع

السكان على تنظيم النسل والحفاظ على الأمن البيئـي، ففـي اليابان والهند وسنغافورة مثلاً خصصت الحكومـة بعـض المزايا النقدية للأسر التي تحدد عدد أطفالها، وبالعكس كانت أحيانا تفرض ضرائب على الأسر كبيرة الحجم والتي يزيـد عددها عن الخطة الموضوعة وفي الصين اتبعت الحكومـة العديد من السياسات المالية لتشجيع الأسر على تنظيم النسـل حتى أن معدل نمو السكان انخفض من ٣% في السـتينيات إلى ١% في بداية الثمانينيات، وفي أندونيسيا اهتمت الحكومة بتعليم الإناث بصفة خاصة وقـد أدت تلـك السياسـة إلـى انخفاض معدلات الخصوبة بشكل ملحـوظ، كـذلك قامـت حكومتا الصين والهند برفع السن القانونية للزواج، أما فـي تايوان فقد قامت الدولة بمنح مزايا تعليمية للأسـر صـغيرة الحجم [٢٨].

ومع ذلك فالصين تتخذ بعض الإجراءات التـي قـد تكون بالنسبة لبعض الدول الأخرى تعسفية حيث لا تسـمح لكل أسرة بإنجاب أكثر من طفـل واحـد وتقـوم بالكشـف الشهري الدوري على المرأة فإذا ثبت وجود حمل فإمـا أن تكون هناك عملية إجهاض إذا كانت صحة الأم تسمح بـذلك

أو تسن ضريبة على الأب والأم في محاولة لوقـف نزيـف الإنتاج داخل الصين.

وإن السوق المصرية المتسعة والبالغة ما يقرب مـن ٧٠ مليون نسمة ستصبح أحد مصادر الضعف إذا ما ظلـت الصادرات المصرية على وهنها الحالي التي لا تتجاوز ٣,٨ مليارات دولار أي ما يساوي الصـادرات السـعودية غيـر البترولية لذلك:

١- ينبغي التأكيد بشكل عام على مفهوم النموذج الأساسي وتطبيقه في ميدان تنمية دور المرأة كمدخل لمواجهة الزيادة السكانية وتتبع عملية الانتقـال مـن نمـوذج أساسي لنموذج آخر وتحديد النموذج الأساسي الملائم في ظل مرحلة تاريخية معينة وفي ضوء علاقاته مع النماذج الأساسية المنافسة تحـت مظلـة المتغيـرات العالمية مع عدم الإضرار بصـورة المـرأة سـواء إعلاميا أو اجتماعيا حيث إن الفئة النسائية تستطيع أن تقوم بدور فعال في ذلك المجال.

٢- يؤدي تضارب النماذج الأساسية في مجـال السـكان والتنمية إلى ضياع ملايين الجنيهات حيث إن الصراع

بين النماذج الأساسية زاخـر بتضـارب المصـالح الأيديولوجية والأهداف السياسية والغايات الاجتماعية، ويكفي الإشارة إلى دراما "الحاج متولي" التي ضربت عرض الحائط بالنموذج الأساسي للأسرة المصـرية الصغيرة وأعادت للأذهان نموذج الأسـرة الكبيـرة بتعدد الزيجات وكنا قد تصورنا أننا قد نسيناه تماما.

٣- وإن الاهتمام بتدريب قوة عمل مدربة من النساء على الخدمات الاستشارية في مجالات شتى كـذلك إقامـة نظم لمنح المكافآت والحوافز والتقـديرات المناسـبة للعلماء والأخصائيين كذلك إحاطـة المجتمـع عامـة والشباب خاصة بالأثر الاجتماعي والاقتصادي الناجم عن المشكلة السكانية سيكون له أثره الواضـح. وقـد يتساير ذلك مع ما أشار إليه دور كايم من أنه يجـب أن يكون لنا عاداتنا في حياتنا الاجتماعية وقد تكـون المدارس والجامعات هي أكثـر المؤسسـات لخلـق عادات سليمة. فالتلميذ يذهب إلى مدرسته بانتظام وفي ساعة معينة ويتخذ أسلوبا معينا وينبغي أن يكون قـد قام بإعداد واجبه وتحضير دروسه.

٤- كذلك للإعلام وصـورة المـرأة فيـه دور أساسـي.
والخطاب الديني في ذلك الشأن أيضا يجب أن يراعي
السياسة القومية لمشاكل الزيادة السكانية.

وفي زمـن التغيـر الشـامل تتصـف المشـكلات الاجتماعية المعاصرة بأنها ذات طبيعة تبادلية تـؤثر علـى الاقتصاد والسياسة والثقافة والبيئـة ولا تتـرك مجـالا إلا وغيرت في موازينه ومن أكثر الأمراض الاجتماعيـة حـدة الزيادة السكانية. ويؤكد علماء الاجتماع على منهج هام وهو أن البشر هم القوة الفعالة الرئيسية وأن تنظيمهم الاجتمـاعي يعتبر عاملا حاسما في وضع الحلول القابلة للتطبيق من أجل تحقيق التنمية المستدامة وينادي علماء الاجتمـاع بضـرورة إدراك الأهمية المحورية للقوى الاجتماعية ومؤسساتها، إذ إن التنمية المستدامة يجب أن تقـوم علـى أسـاس اجتمـاعي واقتصادي وبيئي في آن واحد وهناك حقيقة أخرى وهو أنـه يجب على التنظيم الاجتماعي أن يدعم الإمكانـات الفرديـة وتعبئتها وتنظيم فوائدها حيث إن بناء مستويات التنظيم فـي المجتمع يكون وسيلة فعالة لتعزيز دوام ومكاسب التنمية.

وإذا كانت هناك صعوبة بالغة فـي قيـاس تكـاليف المسئولية الاجتماعية واستحالة قياس الضرر الناتج عن كـل أسرة جديدة على حدة حيث ينتج عن تلك الزيـادة أضـرار بالغة إلا أنه من خلال دراسة فريق من العلماء والمفكـرين والاقتصاديين في أكاديمية "دي لينشي" برومـا عـام ١٩٦٨ بهدف بحث مشروع "المأزق الذي يواجه البشرية" تبـين أن هناك أهم خمسة عوامل تحدد النمو فوق هذا الكوكب وهي:

١- الموارد الطبيعية.

٢- السكان.

٣- الإنتاج الزراعي والغذاء.

٤- الإنتاج الصناعي والتكنولوجيا.

٥- التلوث.

وقد خلصت تلك الدراسة إلى وضع نظرية "سـميث" بنظرية حدود النمو. ويتلخص مضمونها في النقاط التاليـة: إنه إذا استمرت اتجاهات النمو الحالية في السـكان وإنتـاج الغذاء والتصنيع واستنفاد الموارد الطبيعية بلا تغيير، فسـيتم الوصول إلى أقصى حدود النمو في خلال مائة عـام علـى الأكثر، حيث يحدث نقص مفاجئ في قدرة البيئة على الوفاء

باحتياجات التقدم واستيعاب نتائجـه وبالتـالي انهيـار كـل مقومات التقدم [٢٩].

ولكن هناك عناصر خطيرة تعمل على افتراس المرأة وتدفعها دفعا لمزيد من الإنجاب ونذكر بعضا منها:

١- الأمية: إن نسبة الأمية في المجتمع المصـري تصـل إلى ٤٩% موزعة بين الذكور حوالي ٣٧,٨ مقابـل ٦١,٤ للإناث وتشمل الأمية فئة عريضة بين السكان وتسبب ما يسمى بالأمية الحضارية ومن الواضح أن نصيب المرأة منها أكبر كما أن تلك الأمية تعمل على تدني خصائص الإنسان المصري وخاصـة المـرأة كذلك يدخل في ذلك الإطار التكاسل والتواكل والصحة المتهالكة [٣٠].

٢- التهديد بالطلاق: رغم أن الإسلام قد أباح الطـلاق إلا أنه اعتبر الطلاق منتهى البغض وأن أبغض الحـلال عند ا الطلاق ومع ذلك فهو في نفس الوقـت مـن أكثر القضايا التي تصيب المرأة بالقلق والتـوتر دون ذنب وذلك لأن التيار الاجتماعي يعطي الرجل هـذا الحق كعنصر من عناصر قوة الرجل ولا يرحم المرأة

المطلقة وغالبا ما يلقي عليها وحـدها اللـوم وبأنهـا السبب في انهيار الحياة الزوجية مهما كـان موقـف الزوج ظالما. كذلك من الصعب علـى المطلقـة أن تتزوج مرة أخرى سواء لنظرة الذكور لها أو نظـرة أسرة من يريد أن يقترن بها هذا بالإضـافة لنظـرة المجتمع وخاصة إذا كانت لديها أطفال وذلك بعكـس الرجل. وذلك الوضع الذي تستشعره المـرأة يعكـس تخوفها فيجعلها تفضل زيادة الإنجاب لتثبيت وضـعها كزوجة وأم خاصة لو كانت فقيرة.

٣- شبح التعدد: أباحت الشريعة الإسـلامية التعـدد فـي أضيق الظروف وبشرط محددة أما إذا كان الـزواج بغرض المتعة الشخصية الغريزيـة فهـذا لا يقـره الإسلام لقوله (ص) لعن ا الذواقين والذواقات. ومع ذلك فإن الزوجة المصرية خاصة فـي المجتمعـات الدنيا الفقيرة غالبا ما يلازمها شبح التهديـد مـن أن يتزوج زوجها عليها ونجد أن سلاحها الآمن الوحيـد هو زيادة عدد الأبناء وتكرار الإنجاب.

٤- الحقوق المهضومة في الإرث: فـي دراسـة قضـايا المرأة المصرية بين التراث والواقع ومن خلال البحث الميداني يقول أحد الإخباريين (٥٨ سـنة – جـزء – أمي – م+٤- منوفية) عندما تطالب المرأة بحقها في الميراث تتغير المعاملة وتسـوء العلاقـات وتنقطـع المودة بينها وبين أهلها وتصبح إنسانة غير مرغوبـة في بيت أهلها، وذلك على خلاف معاملة الزوج لهـا والذي يعاملها معاملة ممتازة وحلوة، حتـى تحصـل على حقها وبعد ذلك قد يضـربها أو يتـزوج عليهـا ويحصل على أموالها حتى تعطيه ما يريد وإذا طالبته بحقها يدعي أنه صرفه عليها وعلى الأولاد، وعموما فالمرأة في كل الحالات لا تستطيع الحصول على كل حقوقها فالعادات والتقاليد تجعلها في مرتبة أضـعف وهي عادة تفضل مودة الأهل وقرب الزوج منها على أن تعيش في صراع نفسي بين خوفها مـن مقاطعـة الأهل لها إذا طالبتهم بحقها بين طمع زوجها في مالها حتى قد يتزوج عليها أو يطلقها [٣١] وتلك القضايا لـم تحسمها مؤسسات المجتمع بعد.

٥- وبالتأكيد هناك ثمة علاقة جدلية بين اتجاهات المجتمع نحو المرأة وبين الرؤى والتصورات لمكانـة المـرأة ودورها وارتباط تلك المكانة والدور بخصوبة المـرأة وكثرة عدد إنجابها سواء لتدعيم وجودها داخل ذلـك المجتمع الذي تعيش هي داخله أو لخوفها وقلقها مـن الضياع في نظام اجتماعي لا يعترف بإنسانيتها لذاتها ولشخصها ولدورها ولمكاسبها كإنسان بصرف النظر عن كونها أنثى فكلما كانت اتجاهات المجتمـع تجـاه المرأة إيجابية استنادا على مبدأ الفروق الفردية بـين الرجل والمرأة لا استنادا على مبدأ الفروق النوعيـة كلما كانت مسألة تكرار الإنجاب غير واردة. خاصـة وأنه من خلال عديد من الدراسات الميدانية اتضح أن العادات والتقاليد الراسخة تمنع المرأة الفقيرة والمعدمة وغير المتعلمة من الاستفادة من برامج تنظيم الأسرة حتى لو كانت تلك الوسائل يتم توزيعهـا دون مقابـل مادي. حيث إن الاعتماد الأول والأخير والنجاة لهـن هو الإنجاب وهو العنصر الذي يجدن فيه الإنقاذ مـن الاغتراب والفشل والضياع والحيرة.. وخاصة لو كان

المولود ذكرا أما إذا كان المولود أنثى فـإن دوامـة الوقوع فريسة الضياع تستمر مرة أخرى في حلقـات لا تنتهي دوامتها. مما يؤكد أننا نحتاج إلـى تغييـر اتجاهات المجتمع نحو دور المرأة ومكانتهـا حتـى نستطيع مواجهة المشكلة السكانية والانفجار السكاني.

## المراجع:

(١) عبد الحليم نور الدين (دور المـرأة فـي المجتمـع المصري القديم، وزارة الثقافـة المجلـس الأعلـى للآثار ١٩٩٥) ص١٦٥.

(٢) دول ديورانت، قصة الحضارة (من الترجمة العربية لمحمد بدران) دار النشر غيـر مبينـة، القـاهرة، ١٩٥٠ ص٩٦.

(٣) زيدان عبد الباقي، المرأة بين الدين والمجتمع (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٧٧) ص٩٧-٩٨.

(٤) سورة القصص، آية ٢٦.

(٥) زيدان عبد الباقي، المرجع السابق ص٢١٩.

(٦) محمد فهمي لهيطة، تاريخ مصر الاقتصـادي فـي العصور الحديثة (مكتبة النهضة المصرية) القاهرة، الطبعة غير مبينة، ١٩٤٥) ص١٢.

(٧) محمد السيد غلاب، البيئة والمجتمع (مكتبة الأنجلـو المصـرية، القـاهرة، طبعـة غيـر مبينـة د.ت) ص٤٤٧.

(٨) دينكي ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسـان محمد الحسـن، (دار الطليعـة، بيـروت، الطبعـة الأولى، ديسمبر ١٩٨١) ص٩٢.

(٩) سامية خضر صالح، البطالة بين الشـباب حـديثي التخرج، العوامل، الآثار، العلاج دراسـة تطبيقيـة على عينة من الشباب العاطل، بمحافظـة القـاهرة (مطبوعات قسم العلوم الاجتماعية، بكلية التربيـة، جامعة عين شمس، الأنجلـو المصـرية، الطبعـة الأولى، ١٩٩٢) ص٣٢.

(١٠) البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة UNDP، تقريـر التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ (المطبعـة الشـرقية، البحرين، ٢٠٠٠) ص١٥٩-١٦٣.

(١١) عبد الحميد محمد القاضي، مقدمـة فـي التنميـة والتخطيط الاقتصادي (دار الجامعات المصـرية، القاهرة ١٩٧٥) ص١٦-٢١.

(١٢) معهد التخطيط القومي مركز التوثيـق والنشـر. (خطة التنميـة الاقتصـادية والاجتماعيـة لعـام ٢٠٠٣/٢٠٠٤ للعام الثاني من الخطـة الخمسـية

(٢٠٠٢/٢٠٠٣-٢٠٠٦/٢٠٠٧) مسلسل ١٦٢٠٥) ص٢٧.

(١٣) سامية خضر صالح، البطالة بين الشباب حـديثي التخرج، العوامل، الآثار، العلاج، المرجع السابق ص٣٦.

(١٤) كتاب أكتوبر، حرب التسعينيات التـي يجـب أن تخوضها، ندوة المشكلة السكانية أسبابها، أبعادها، تداعياتها (بمجلة أكتوبر ديسمبر ١٩٨٩) ص١٩-٢٦.

(١٥) وفاء أحمد عبد ا ، التلوث الصـناعي وعلاقتـه بالبطالة (مذكرة خارجية ١٥٢٥ معهـد التخطـيط القومي، جمهورية مصر العربية، مـايو ١٩٩١) ص٢٥.

(١٦) سامية خضر صالح، البطالة بين الشباب حـديثي التخرج، العوامل، الآثار، العلاج، المرجع السابق، ص٣٦.

(١٧) أحمد البيلي، الأمية المعاصرة وتحـديات التنميـة السياسية في الوطن العربي، المؤتمر العلمي الرابع

الأمية في الوطن العربـي، التحـدي والمواجهـة للأسرة والمجتمع (المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة، مركز البحوث والتدريب والتجريب، بل برنت للطباعة، القـاهرة، ٢-٣ فبرايـر، ١٩٩١) ص٥٤١.

(١٨) عمر محروس إسماعيل، التعليم العالي والبطالة في مصر. كتاب المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر للاقتصاديين والبطالة. (الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشـريع القـاهرة، ١٩٩١) ص١١.

(١٩) عبد المحيي محمود حسن صالح، تحديات بـرامج محو الأمية في القرية المصرية، المؤتمر العلمـي الرابع الأميـة فـي الـوطن العربـي، التحـدي والمواجهة للأسرة والمجتمع (المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة، مركز البحـوث والتـدريب والتجريب، بل برنـت للطباعـة، القـاهرة ٢-٣ فبراير، ١٩٩١) ص٣٦٠-٣٦١.

(٢٠) البعد السياسي للجامعة والأمن البيئي، دراسة فـي المشاركة واتخاذ القرار. (أكاديمية البحث العلمـي والتكنولوجيا، القاهرة، ١٩٩٦) ص٢٢٧.

(٢١) حامد عمار، في بناء الإنسان العربـي، دراسـات التوظيف القومي للفكر الاجتماعي والتربوي (علم الاجتماع وقضايا الإنسان والمجتمع، الكتاب الرابع عشر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨) ص٣٣٤.

(٢٢) محمد الظريف سعد محمد، دور جماعات النشـاط المدرسي في تنمية الوعي البيئي، مؤتمر الشـباب والتنمية البيئية (معهد الدراسات والبحوث البيئيـة، جامعـة عـين شـمس ٢٨، ٣٠ مـايو ١٩٩١) ص٢٢٩، ٢٣٢.

(٢٣) مريم أحمد مصطفى، التنمية بين النظرية وواقـع العالم الثالث (دار المعرفة الجامعية، الإسـكندرية ١٩٩٢) ص٢٤٤.

(24) Samia Khedr Saleh, Changing the Position of Woman and Developing the Environment. International Conference on woman and Environment. (High

Institue of Public Health, Alexandira University, December 1, 3, 1992) P.446.

(٢٥) محمد الجوهري وآخرون، الاقتصاد والمجمع فـي العالم الثالث، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦) ص١٦٥-١٦٦.

(٢٦) سعيد النجار، البطالـة والتحـول نحـو اقتصـاد تطويري، مقدمة في ندوة مشتركة بـين جمعيـة النداء الجديد واتحاد البنوك المصرية. (١٠ أكتوبر ١٩٩٣، الأهرام الاقتصادي، ٢٥ أكتوبر ١٩٩٣) ص١٢.

(27) Walt Anderson, Politics and Environment A rreadr in Ecological Crisis. (Goo year Publishing company, Inc., Pacific Paliseades, California, Second Edition, Printed in the USA, 1975) p.11.

(٢٨) سميحة السيد فوزي، سياسة مواجهة مشكلة البطالة في مصر رؤى من خلال تجارب بعـض الـدول الأخرى. (جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلـوم

السياسية، قسم الاقتصاد، الرضا للطباعة، القاهرة ١٩٨٩) ص١٠٧.

(٢٩) محمد عبد البديع، اقتصاد حماية البيئة (مجلة مصر المعاصرة، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، القاهرة) العدد ٤١٩ يناير، ص٥٢.

(30) Lyn squire, Employment policy in developing countries, A survey of Issues and Evidences, Published for the world Bank Oxford University Press 1987). P. 43.

علياء شكري، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي (الكتاب الثالث عشر، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب، جامعة القاهرة) ص٣٠٨-٣٠٩.

# معا لمساندة المراهقين لحل مشاكلهم

## مفهوم المجتمع المدني:

يعرف المجتمع المـدني باعتبـاره مجموعـة مـن المنظمات غير الحكومية المتنوعة، التي تتمتع بدرجـة مـن القوة تكفيها لموازنة قوة الدولة [١]. ومـن خـلال ديناميـة العلاقة بين المجتمع المدني والدولة والتي تجسد المشـاركة ولا يمكن وضعها في قالب جامد والمجتمع المدني هو مجمل التنظيمات الاجتماعية التطوعية التي ترعى الفرد وتعظم من قدراته على المشاركة المجزية في الحياة العامة وعلى ذلـك فإن المجتمع المدني بالنسبة للفرد شكل تنظيمي وسيط وبديل مكمل تجاه المؤسسات الإرثية من ناحية أخرى [٢].

إن التنظيمات الإرثية Brimordral Org هي تلـك التي ينتمي إليها الفرد منذ الميلاد لاعتبارات مسـبقة دون أن يكون له في هذا الانتماء المبكـر أي هـامش مـن حريـة الاختيار، وأولى هذه المؤسسات هي (الأسرة أو العشـيرة أو القبيلة، تشتمل أيضا على الجماعـة العرقيـة – طائفيـة –

مذهبية – دينية). إذن يقصـد بـالمجتمع المـدني مجمـوع المنظمات والجمعيات الأهلية التـي ينضـم إليهـا الأفـراد باختيارهم وينشطون من خلالها لتحقيق أغراض اقتصـادية وسياسية وثقافية، فئوية أو عامة، ويفعلون ذلك مستقلين عن الدولة وربما في مقابلها [٣].

ويعرف هابرماس Babermas المجتمع المدني بأنه المجال الذي تتجسد فيه حاجات جماعـة مـا واهتماماتهـا بصورة مبدعة ومنظمة ومستقلة [٤].

## مشاكل المراهقين:

### التنشئة داخل الأسرة

إن جوهر عملية التربية هي التطبيع أو تنشئة الكائن البشري، والآباء والمعلمون ليسوا سـوى وسـائل لغـرس أساليب الرؤية الواضحة والسلوك السليم. وهم أيضا يمثلـون السلطة التي يجب أن يألفها الأبناء ليحدث الانضـواء تحـت لواء الدولة وليصبحوا فيما بعد حاملي المسئولية. وليس مـن الحكمة تقليد المجتمعات الغنية تحت مسمى الحرية أو كبـت الإبداع والمواهب تحت مسمى الخوف من جديد. ولكـن إن

عملية التوازن مع نشر الفكر التكنولوجي والثقافة المحملة بانتماء للوطن وضرورة حياتية. فلقد ولد الإنسان وهو يبحث عن السلطة لتنظم له علاقاته الإنسانية والسلطة بالنسبة له كفرد هي الدين وبالنسبة للأسرة هي الأب أو ما ينوب عنه وبالنسبة للطالب هو المدرس وبالنسبة للمجتمع هي الدولة.

## محاكاة الانحراف:

وقد نتج في المجتمعات الغربية ضعف الوازع الديني، كما تفككت الروابط الأسرية مما يثير التساؤل حول التوقعات بانهيار تلك الدول من الداخل وانتشار العنف.

وقد لوحظ في كثير من الدراسات أنه إذا نظر إلى جرائم الأحداث من حيث زمان حصولها فإن نسبتها كانت ترتفع دائما في غير أوقات المدرسة أو العمل، بمعنى أنها كانت تتزايد بعد انتهاء اليوم المدرسي أو العمل وليس معنى ذلك أن المدرسة أو العمل يكونان وقاء من الانحراف بل أحيانًا ما تلعب المخالطة أو المحاكاة السيئة الدور في خلق بذور الانحراف الأولى في فترة وجود الحدث في المدرسة أو العمل حتى إذا انطلق الحدث إلى الشارع فإنه يقوم على ارتكاب الجرائم.. ومن جانب آخر فإن الحدث الذي يعاني

من وقت الفراغ أو يتصل بأقران السوء يكون عرضه للتسكع في الشوارع ويشبع ميوله بوسائل تتصف بالعنف.

كما عرف دياموند Diamond المجتمع المدني بأنه فضاء الحياة الاجتماعية المنظمة التي تتسم بأنهـا طوعيـة، تدبر أمورها بنفسها self generating تعتمد على ذاتها في البقاء self-supporting مستقلة عن الدولة ومحكمة بنظـام قانوني ومجموعة من القواعد المشتركة [5].

إذن يعرف المجتمع المدني بأنه "جملـة المؤسسـات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل فـي ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض منها: أغراض سياسية كالمشاركة في صنع القـرار على المستوى الوطني، مثال ذلك الأحزاب السياسية، ومنهـا غايات نقابية كالدفاع عن المصـالح الاقتصـادية لأعضـاء النقابة والارتفاع بمستوى المهنـة والتعبيـر عـن مصـالح أعضائها، ومنها أغراض ثقافية كما هي في اتحادات الكتاب والجمعيات الثقافية الهادفة لنشر الـوعي وفقًـا لاتجاهـات أعضاء كل جمعية، ومنها أغراض اجتماعية للإسـهام فـي العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية. وبالتالي يمكـن القـول أن

العناصر البارزة لمؤسسات المجتمع المدني هي: الأحـزاب السياسية، والنقابات العمالية، والاتحادات المهنية، والجمعيات الثقافية والاجتماعية.

## وهناك أركان أساسية لمفهوم المجتمع المدني:

الأول: الفعل الإرادي الحـر أو التطـوعي: وهـو يختلف عن الجماعات القرابية كالأسر والعشيرة.. والتـي لا دخل للفرد في اختيار عضويتها فهي مفروضة عليه بحكـم الميلاد أو الإرث.

الثاني: المجتمع المدني مجتمع مـنظم، وهـو بهـذا يختلف عن المجتمع بشكل عام إذ إن المجتمع المدني تجمـع من المنظمات أو المؤسسات تعمل بصورة منهجية وبالإذعان لمعايير منطقه، وتقبل عضوية الأفراد أو الجماعات بمحض إرادتهم ولكن بشروط وقواعد يتم التراضي بشأنها وقبولها.

الثالث: المجتمع المدني وهو ركن أخلاقي سـلوكي، ينطوي على قبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخـرين وعلى حق الآخرين في تكوين منظمات مدنية تحقق وتحمـي وتدافع عن مصالحهم المادية والمعنوية، والالتزام فـي إدارة

الخلاف بينها وبين الدولة بالوسائل السلمية، وفي ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي [٧].

## تفكك العلاقات الاجتماعية:

وإن معدلات التغير الاجتماعي والثقافي السريعة يمكن أن تخلق مواقف عدم اليقين Uncertainty وصراع القيم وعدم معرفة النموذج الفكري والسلوكي المناسب فالنماذج التقليدية تصبح مرفوضة، وهي النماذج التي ألفها الفرد ولا يعرف أبعادها وطبيعتها بعد. كذلك فإن نموذج العلاقات والتفاعلات في ظل المواقف المتغيرة تصبح مختلفة تماما عما ألفه الفرد واطمأن إليه ومن المعروف علميا وتطبيقيا أنه مع تزايد تعقد المجتمعات وتعقد التنظيمات والنظم والعلاقات وتعقد التركيب الطبقي في المجتمع تتزايد المشكلات الاجتماعية والاضطرابات النفسية والعقلية ويمكن المقارنة بين المجتمعات الصناعية الحديثة بمثيلتها في المجتمعات التقليدية والمتخلفة.

## انتشار الأمراض النفسية والاجتماعية:

وقد صارت الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة تمثل ضغطًا عنيفًا على الإنسان لدرجة أن بعـض البـاحثين يشيرون إلى أنه لا مجال للتساؤل حول مـا إذا كانـت أيـة شخصية عصابية أم لا وإنما الأصح التساؤل حـول درجـة العصابية التي تعانيها الشخصية. وتشير الإحصـاءات فـي العالم الغربي إلى انتشار الجريمة والطلاق وتفكـك الأسـرة والانتحار وفسـاد العلاقـات الإنسـانية وشـيوع الفرديـة والمصلحية عكس المجتمعات والشعوب البدائية. وإن هنـاك حوالي ١,٥٠٠,٠٠٠ طفل بين السابعة عشـر مـن العمـر تقبض عليهم الشرطة منهم ٣٥٠,٠٠٠ يقـدمون للمحاكمـة وتجسد تلك الصورة ما يعتري المجتمع الأمريكـي وهنـاك صراع القيم وصراع بين الأجيال وانهيار سـلطة الأسـرة وتفكك المجتمع والعلاقات. وهناك ثالوث هو العضل، المال، العقل، أما السلطة هنا بمعنى التحكم في الناس وهذا التعريف واسع لدرجة تشمل السلطة التي تستعملها الأم لمنـع طفلهـا الصغير من الجري وأمام سيارة مندفعة وسلطة المدرس في الفصل والسلطة التي تستعملها شركة (IBM) لزيادة أرباحها

أو الكنيسة بغرض حشد المعارضة ضد منع الحمل أو الجيش الصيني ضد تمرد الطلبة. وتشمل السلطة في أكثر أشـكالها سفورا استخدام العنف والثـروة والمعرفـة لجعـل النـاس يتصرفون بطريقة ما ومعنى ذلك أن السلطة يتم اسـتخدامها للتحكم في مسلكنا من المهد إلى اللحد [٨].

# المراجع


(١) هويدا عدلي، المجتمع المدني، المفهـوم والأركـان والإشكاليات، "المجلة الاجتماعية القومية" (المركـز القومي للبحوث الاجتماعية، والجنائيـة، القـاهرة، ١٩٩٩) ص٨١-٨٣.

(٢) سعد الدين إبـراهيم، المجتمـع المـدني والتحـول الديمقراطي في الوطن العربي الكتاب الأول "دورية الديمقراطية" (مركز دراسـات التنميـة السياسـية والدولية، القاهرة، ١٩٩١) ص١٤.

(٣) عزت حجازي، المجتمع المـدني: تجربـة مصـر "المجلة الاجتماعية القومية" (المركز القومي للبحوث الاجتماعية، والجنائية، القاهرة، ١٩٩٥) ص١١٣.

(4) Weiner R, Retrieving Civil Society in a post-Modern Epoch, The social Science Journal, Vol 28. No. 3.1991. P. 311.

(5) Daimond, L, Toward Democratic Consolidation, Rethinking Civil Society, Journal of Democracy, Vol. 5, No. 31994. P, 5-7.

(٦) كريم أبو حلاوة، إعادة الاعتبار لمفهـوم المجتمـع المدني "عالم الفكر" (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويـــت، ١٩٩٩)، المجلـــد الســـابع والعشرون، العدد الثالث – ص١١-١٢.

(٧) أماني قنديل، تطور المجتمع المدني في مصر "عالم الفكر" (المجلس الوطني للثقافة والفنـون والآداب، الكويت ١٩٩٩) المجلد السابع والعشرون – العـدد الثالث – ص١١-١٢.

(٨) سامية خضر صالح، استراتيجية مواجهة العنـف، رؤية نقدية ودراسة تطبيقية. (الأنجلـو المصـرية، القاهرة ٢٠٠٣) ص٥٢-٥٣.

# الفصل الرابع

- رجال تحمسوا لتعليم المرأة
- الجامعة بين المشاركة والانعزال

# رجال تحمسوا لتعليم المرأة المصرية

- "رفاعة الطهطاوي" رجل جدير بأن توضع حياته في إطار عريض لخدمة مسيرة المرأة المصرية فقد تحمـس لقضية تعليم الفتاة وآمن أنه لن يكتب لها النجاح إذا لم يتصد لها المفكرون والكتاب وقد قال ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات لحسن معاشرة الأزواج كذلك إن التعليم يؤهل الفتـاة لعمل نافع. فإن فراغ أيديهن عن العمـل يشـغل ألسـنتهن بالأقاويل وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجـال فهـي مذلة في حق النساء. وقد أكد تحمسه لتعليم الفتاة في كتابـه "المرشد الأمين للبنات والبنين".

- ويعتبر "علي مبارك" نموذجا ثانيا مـن الرجـال الذين آمنوا بقضية تعليم المرأة فقد قام بتأليف كتاب ضـخم سماه "علماء الدين" أوضح فيه رأيه في تلك القضـية التـي كانت تعتبر شائكة في وقتها وساق البـراهين علـى أهميـة التعليم للفتاة حيث أضاف أن الحياة أفضـل بـين زوجـين

يتعاونان فيها على العيش بالعمل والكسـب. وبـذلك كـان واضحا قراره بأهمية تعليم البنات.

- أما عبد ا  النديم كنموذج ثالث فدلالـة علـى أن قضية تعليم الفتاة كانت هدفًا من أهداف المجتمع وكان عبـد ا  النديم في ذلك الوقت لسان الأمة وقلمها يقوم بنشر كلمته في أكبر عدد ممكن من التجمع. وقد ساعده ذلك على بلورة رأي عام مصري مستنير وكانت جريدته "التبكيت والتنكيت" تعني بنقد العيوب الاجتماعية وأكد على تعليم البنات وهـاجم كل من يعارض تلك القضية.

- على أن محصلة تلك القضية الملحة والتي كانـت تحتاج لمزيد من الوضوح قد تم مناقشتها بشجاعة في أواخر العقد الأخير من القرن التاسع عشر ففي ١٩٠١ أثيرت ضجة ثقافية كبرى لفتت الانتباه بشدة ذلك أن "قاسم أمين" المستشار بمحكمة الاستئناف نشر كتابا بعنوان "تحرير المرأة" طلب فيه بضرورة تعليم المرأة وكذلك رفع الحجـاب عنهـا وكانـت المرأة العصرية في تلك الفترة محكوما عليها بألا تـتعلم ولا تخرج من بيتها إلا للضرورة ومحجوبة الوجه وقد سـاعدت دعوة قاسم أمين على المد الفكري لإنشاء المدارس للفتيـات

رغم الصعاب التي واجهته وأدت لتصادمه مع الخديو حيث أمر الأخير بعدم السماح له بدخول قصر عابدين رغم ما كان له من رفعة المركز.

- وفي أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين أمسك "محمد حسين هيكل" بالوزارة وصرح بقوله: "لا نعدو الحق إذا قلنا أن التعليم ألزم للمرأة منه للرجل كما سجل "عبد الرازق السنهوري" وكيل وزارة المعارف في مجلس النواب التقدم المطرد الذي وصل إليه تعليم البنات وبالتالي كان نصيب مدارس البنات الخاصة من إعانة الوزارة وافرا.

- وأخيرا اجتاز تعليم الفتاة سلم التطور بسرعة وتطرق النقاش إلى سبب إغفال إلحاق المرأة بالجامعة المصرية لولا إيمان صفوة من المفكرين المسئولين برسالة الجامعة وأهمية تعليم المرأة المصرية فقد تمكن "أحمد لطفي السيد" مدير الجامعة وهو نصير لحرية المرأة من التخطيط والعمل في صمت وفي غفلة من المعارضين من أجل انتظام الفتاة بالجامعة.. فقد طلب من عمداء الكليات في أول سنة لافتتاح جامعة فؤاد الأول أن تقبل بها الفتيات. وعلى ذلك تم قبول البنات الحائزات على البكالوريا دون أن يثار ذلك

الموضوع في الصحف حتى يتم وضع الحكومة والرأي العام أمام الأمر الواقع فكان التعاون بين مدير الجامعة و "د. طـه حسين" عميد كلية الآداب و"د. علي إبراهيم" عميد كلية الطب وكان الاعتماد على أن القانون الأساسي للجامعة يبيح دخول المصريين وهو لفظ مذكر ينطبق على الذكور والإناث وعلى ذلك قبلت الفتيات وقيدن دون الإشارة إلى الجـنس وأصـبح لهن حق مكتسب.

وفي عام ١٩٢٩ التحـق بالجامعـة ١٧ طالبـة (٨ كليات للعلوم – ٤ آداب – ٤ طب – ١ حقوق) وأثار ذلـك الحدث كثيرا من الجدل ومع ذلك جاءت النتائج مشرفة فقـد تفوقت سهير القلماوي وجاء ترتيبها الأول في قسـم اللغـة العربية بكلية الآداب وفطمية فهمي الأولى في قسم الاجتماع وزهيرة عبد العزيز الثانية وفاطمة سالم فـي قسـم اللغـات القديمة وتخرجت نعيمة الأيوبي من كلية الحقوق وحصـلت عفيفة إسكندر على دبلوم الآثار وصار خبر تخرج الفتيـات حديث المجالس وتصدر صفحات الصـحف خاصـة بعـد تصريحات الخريجات بتصميمهن على مواصـلة الدراسـة للحصول على الدكتوراه.

**ورقة بعنوان :**

# الجامعة بين المشاركة والانعزال

**أ.د. سامية خضر صالح**

**كلية التربية – جامعة عين شمس**

لاحظت في النشرة الموزعة من قبل المؤتمر القومي السنوي السابع لمركز تطوير التعليم الجامعي بعنوان الجامعة في المجتمع ما سجل بها من أنه: مع تزايد أنشطة الجامعات في خدمة المجتمع، نشأت الحاجة إلى التقنين وذلـك بإنشـاء وظيفة خاصة لخدمة المجتمـع وتنميـة البيئـة إلا أن هـذه الوظيفة المهمة بأهدافها وأدوارها وواجباتها ومسئولياتها تظل – من بين وظائف الجامعة – غير واضحة وغيـر محـددة، وتراثها الخبري قليل ويحتاج إلى إثراء مـا يبـرز الحاجـة الشديدة إلى مناقشات ودراسات وبحوث تنضج عملية القيـام بهمام هذه الوظيفة بحيث تتيح للجامعة الوفـاء باحتياجـات المجتمع والبيئة خاصة في ظل المتغيرات العالمية الجديـدة

التي تتطلب تغييرا وتحديثًا لأدوار الجامعة ووظائفها في هذا المجال.

ومن هنا جاءت ورقتي هذه في محاولة للإجابة على المتطلبات المطلوبة حتى تشارك الجامعة بوظيفتها في خدمة المجتمع وتنمية البيئة.

ويحتاج مجتمع الموجة الثالثـة وثـورة المعلومـات للتنسيق والربط بين أجزائه المختلفة من خلال تزايد العمليات الديناميكية.. فلم تعد موارد الثروة هي التي تفـرض علـى الإنسان ما يتخذه من قرارات، بل أصبحت المعلومات هـي التي تخلق تلك الموارد وهذا هو البعد الثوري الأكبر وبـذلك تكون الحاجة إلى الوعي والمشاركة عـن طريـق التربيـة والتعليم وربط الجامعة بالمجتمع والبيئة خاصة وأن مفهـوم البيئة لم يعد يشتمل على المظاهر الطبيعيـة مـن عناصـر جغرافية غير حية مثل السطح والحرارة والرطوبة وعناصر حية مثل الحياة النباتيـة والبكتيريـا والفطريـات والديـدان والحيوانات بل اتسع ذلك المفهوم ليتضمن كـل مـا يحـيط بالإنسان بما فيه الإنسان نفسه وسلوكه وثقافته، فتدهور البيئة

الاجتماعية الاقتصادية السياسية بجانب البيئة الطبيعية ظاهرة شائعة في الدول النامية.

## الشخصية الجامعية المعاصرة:

تشير المؤشرات العالمية إلى التحول من النمطية إلى التباين في كل شيء ومن الخيارات العديـدة وإلـى الـزمن المرن الذي يسمح بأشكال مختلفة.. ومن الطبيعي أن ينعكس كل ذلك على وضع وأداء الجامعـة لوظيفتهـا فـي خدمـة المجتمع والبيئة حيث لن تصبح المدرسة والجامعـة المكـان الوحيد للتعليم بل سيظهر التنافس من خلال المنزل بأجهزته العالية المستوى والمؤسسات السياسية والاجتماعية.

والجامعة كتنظيم تعليمي وتربوي يملك صناعة القوة للخريجين ليس عن طريق نقل المعرفة والتدريب والتأهيـل لسوق العمل فقط ولكن الرسالة الأهم هـي عمليـة إنتـاج النموذج الجديد من الشخصية القادرة على التعلم والمرونـة والإنجاز والتوافق والتميز والتسامح والتعاطف وكل ذلك عن طريق استثارة الوعي الفكري للفرد في مواجهة التطـورات الخطيرة في عالم الغد للحصول على بيئة مناسـبة وإذا لـم تنجح الجامعة في تلبية حاجات المجتمع وتنمية بيئتـه فـذلك

معناه أن التعليم الجامعي جامد ويحتاج إلى مراجعة.. كـذلك إذا لم تستحوذ خدمة المجتمع بما تحمل من مفاهيم على فكر المحاضر بحيث يحاول ربط الطالب ببيئته داخـل المجتمـع الذي يعيش فيه ستتحول الجامعة مثلها مثـل هيئـة البريـد والتليفون والتلغراف ويصبح الطلبة مجرد أعداد تتلقى فـي حدود المتفق عليه ولا يسمح لها بالتحرك أو باتخـاذ قـرار وتصبح التنشئة من خلال الجامعة سلبية وبالتالي الشخصـية التي تخرجها الجامعة شخصية سلبية.

## أسباب أزمة المشاركة الطلابية:

ومعنى ذلك ضرورة وضع قواعـد وأسـس تحـدد السياسة التي يتم السير عليها وتوجه المسار الجامعي لخدمة تنمية المجتمع والبيئة. وإذا كانت القيم والأفكار تلعـب دورا أساسيا في توجيه دفة الحياة المجتمعيـة فـإن المؤسسـات التعليمية وخاصة الجامعة تأخذ مكانا هاما في دفع ومعاونـة وترسيب وبلورة تلك الأفكار لتلائم الأفراد والجماعات. فقـد تبين أن المقررات الدراسية من المدرسة إلى الجامعة لم تفلح في اقتلاع كثير من العادات والتقاليد المسئولة عـن بعـض المشكلات الاجتماعية والبيئية مثل الانفجار السكاني وتوابعه

من تدهور البيئة وانتشار الأماكن العشوائية وازدياد ملامـح الفقر وسوء التغذية وتدهور الأخلاق والقيم.

ولا أحد يستطيع أن ينكـر أن الجامعـة مـن أهـم المؤسسات التي تزود الأفراد بالقيم والاتجاهات والمعـارف التي تمكنهم من الابتكار والتجديد ومن المساهمة في صـنع المستقبل كما أنها تقوم بغرس قيمة العلم كقيمة أساسية مـن قيم المجتمع المعاصر كما أنه من المهـم أن يكـون هـدف الجماعات هو تدعيم المفاهيم العلمية بشكل يؤدي إلى تنميـة دور الطالب للمعاونة في تنمية المجتمع كلـه، كـذلك فـإن الأنشطة الجامعية تهدف إلى الربط بين الفرد والجماعة وبين مجتمع الجامعة والمجتمع الأكبر [١].

كما يجب أن يتاح للجامعة النمو في ظل فكر يعترف بالحرية والعدالة الاجتماعية والتنوير فقد انتشـرت البديهيـة المعروفة وهي أن المجتمع لا يستطيع أن يستمر في البقاء إذا فشل في إشباع الاحتياجات الإنسانية الفردية لأعضائه حيـث تجاوزت تلك الاحتياجات المأكل والمشـرب إلـى الإشـباع الاجتماعي والنفسي والثقافي وتستطيع الجامعة أن تخلق قوى بشرية تحترم العقلية العلمية وتؤمن بحرية الـرأي والـرأي

الآخر وتقوي الدافع الفكري لتشكيل الحياة بصـورة أفضـل فالتعليم هو مفتاح الرفاهية، والاهتمام بالبحث العلمي له أثره في تطور المجتمع والحفاظ على بيئته آمنة ومتحضرة.

والجامعة قادرة على توفير الرغبة العالية في الانتماء وهي درجة ارتباط الفرد ببيئته ومجتمعه وجماعتـه حيـث يشعر كثير من الطلاب بدرجة من درجـات الشـجن حـين ينتهون من المرحلة الدراسية في الجامعة ويعرفـون أنهـم سيفترقون كأصدقاء ومنتمين لشلة واحدة ويتصفون بسـمات متقاربة، تجمعهم روح الفريق لعدة سنوات وهذا الشعور هو أكبر دليل على حاجة الشباب للجامعـة كمنسـق للدراسـة والنشاط الذهني وللمعرفة وللجماعات الطلابية التي تتكـون بطرق شرعية وتحقق الإشباع النفسي والاجتماعي للشـباب في محاولة ربطهم بإيقاع المجتمع. فإذا نجحت الجامعة فـي التأكيد على ذلك لأصبح الشباب هم الدرع الـواقي للدولـة والمرتبط بكل أهدافها أما إذا ظل التعلـيم جامـدا ضـاعت الامتيازات النفسية والاجتماعية من الشباب وضاعت علـى الدولة فرصة استخدام هؤلاء الشباب ليكونوا الهدف والوسيلة لتنمية المجتمع والبيئة فهم هدف العملية التعليمية وتطورهـا

كذلك خلق فئة من طلاب العلم مدربة على اختراق عصر المعرفة والمعلومات السريعة ويمكن أن تصبح تلك الفئة أداة ووسيلة لتنمية المجتمع والبيئة بعيدا عن التطرف والإرهاب والتلوث. حيث إن أي جهاز إداري لا يستطيع أن يعمل دون أفراد تم تدريبهم على مكافحة المؤثرات السلبية داخل المجتمع والبيئة وبذلك نكون قد كسبنا تدريب ومعاونة الشباب لتنمية المجتمع وتطوره وأصبح هو الوسيلة لمكافحة أية سلبيات يمكن أن تهدم المجتمع أو تضعف من بنائه.

وتعد غياب المشاركة الطلابية من أهم المعوقات التي تواجه الأجهزة الإدارية في الجامعة ولكن علينا أن نتساءل لماذا ذلك الغياب؟

والإجابة: أن هؤلاء الطلاب لا يجدون الإطار السليم حتى يدخلون فيه فالعاملين في مجالات شئون الطلاب أو في رعاية الشباب مكبلون بأعباء عديدة وبرنامج زمني محدد.. وأماكن عملهم غير مريحة وغير نظيفة ولا تصلح لتركيز أفكارهم وأعداد الطلاب تفوق التصور.. أما أعضاء هيئة التدريس فهم دائما أبدا يهرولون إلى المحاضرات مشغولين

بأعباء حياتهم متخمين بمطالب يومية ملحة محاصرين بأبحاثهم للترقية.

لذلك لا يمكن إعفاء النظام الجامعي ولا أعضاء هيئة التدريس بالجامعة من دورهم في بث الوعي الاجتماعي في نفوس الطلاب ونشر ضرورة المشاركة لخدمة بيئتهم ولا يمكن أن يحدث هذا إلا من خلال سياسة الجامعة نفسها فمن الواضح أن العلم والسياسة قد تداخلا بشكل أكيد وكانت النتيجة تطور علمي وتنمية مستمرة ومتكررة بمعدلات عالية في خلال حقبة زمنية محددة.

وهناك ضرورة أن نأخذ في الحسبان ما أوردته هيئة الأمم المتحدة عن سياسات برامج الشباب، أن هناك تقديرات تقلق المسئولين، وتؤكد أن تأثير الشباب سوف يزداد بل ويسود ويحذر من أن الشباب الصغير مستعد أن يزحف، ليوضح، وأن يشاغب إذا لزم الأمر لدعم وجهات نظره فهو يحتاج أن يعرف ماذا يراد منه؟ ولماذا؟ ومتى [٢]؟

وإذا كان الشباب الجامعي من حقه أن يعلم ماذا يراد منه؟ ولماذا؟ فكما يقول باتريك هورسبرج في مقال له بعنوان الأزمة البيئية والجامعة إن حالة البيئة الطبيعية في

خطر وكل الأنواع التي يعتمد عليها بقاء الإنسـانية مهـددة، حيث إن معظم النظم البيئية تنهار بسبب عدم تيقظنا.. ومـن المناسب أنه وسط هـذه الضـغوط الإنسـانية المتضـاربة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإن الجامعـة لا بـد أن تبرز كالمنبر الأساسي والتي يتكشف منها احتمـالات للحـل وخلق السلوك الأخلاقي تجاه تنمية وخدمة المجتمع والبيئـة. كما يؤكد باتريك هورسبرج على الحاجة إلى الجمال البيئـي في العالم بصفة عامة والمعاهد العلمية بصفة خاصة [٣].

ويعتقد ريني ديبوس من جامعة روكفلـر أن الأمـر الأكثر أهمية في أيكولوجية الإنسان هو أن كل العوامل البيئية تترك أثرا مباشرا على صفات الإنسان وعلى ذكائه وبالتالي على الصحة وتكرار المرض وأننا يجب أن نأخذ في اعتبارنا ليس فقط المؤثرات المباشرة ولكن أيضا غير المباشرة [٤].

إن الشباب يمتلك طاقة متجددة من الخطأ كل الخطـأ أن نغفلها ونستمر على تلك النمطية في تعلـيمهم ثـم هـو يتجاوب مع القيم الدينية والأخلاقيـة ممـا يـزود الجامعـة والأستاذ بمداخل قوية لاجتذاب تلك الفئة العمرية التي تتصف بالحماس والرغبة في العطاء والتطلع للمثالية ومـن المهـم

تزويد الإنسان بالعلم والتكنولوجيا ليس فقط ليكـون مـؤهلا لاستقبالها،ولكن لضرورة اشـتراكة فـي تغييـر الطـرق والمجالات التي يتم تنظيمها وكذلك أسلوب الحـل بالنسـبة للمشاكل المحيطة به [٥].

ويقول جاك جوترا Jacques Gautrat إن تعبيـر المشاركة يجب أن يسجل في إطار التغيير فمعظم المؤسسات والاتجاهات والجمعيات تنشأ أصلا لتعكس نوعيات مختلفـة من التغيير [٦].

ولا مخرج لسكان الجنـوب إلا بالمعرفـة العلميـة والوعي بأهمية المشاركة فـي تحسـين البيئـة السياسـية والاقتصادية والاجتماعية ولن تكون النجـاة إلا للأصـحاء والأقوياء الذين سيستطيعون أن يستمروا فـي ذلـك العـالم المتغير إنه الإنذار الذي يجب أن نتعقله وأن تقوم الجامعـة بدور هام فيه خاصة وأن فكرة التفاعل بين الإنسان والبيئـة هي نقطة محورية هامة للتحليلات العلمية وانطلاقة مناسـبة للمشاركة الشبابية [٧].

## تفاعل الأستاذ مع مشاكل بيئته:

اتضح أنه في عدد من الدول الغربية لا يتم اختيـار المعيد من خلال فقط أعلى درجة يحصل عليها الطالب فـي سنواته الدراسية بل بالتعرف على نشاطه ومشاركته لخدمـة المجتمع والبيئة ومن خلال اختبار شخصية المرشـح لتلـك الوظيفة ومدى حيويته في التلاؤم مع الآخـرين فـي عمـل جماعي وكذلك لا يرقى المدرس إلـى أسـتاذ مسـاعد ولا الأستاذ المساعد إلى أستاذ دون التعـرف علـى الأنشـطة الاجتماعية التي يقوم بها المتقدم للترقيـة لصـالح مجتمعـه وبيئته.

وتشير الدراسات الأمريكية أن الأستاذ الأمريكي لـم يعد فقط مدرسا وباحثا علميا ومفسرا للمعرفة بل يفضل أيضا أن تكون له مكانة شعبية.. فإذا كانت الأستاذية فـي بعـض العصور رهبنة، فهي لم تعد كذلك في العصر الحديث حيـث يجب أن يتمتع الأستاذ في المجتمع الأمريكي بتلـك المكانـة الشعبية لأنه معرض بحكم عمله إلى شغل منصب العمادة أو إدارة الجامعة كلها وهي مراكز تحتاج إلى إنسان اجتمـاعي منفتح على مواطن القوة والضعف في مجتمعه وبيئته [٨].

وهناك اتفاق شائع أن الجامعة هـي قاعـدة للعلـوم والمعرفة وأن هناك ضرورة لأن تستخدم تلك العلوم لصالح المجتمع للحصول على بيئة اجتماعية آمنة في عصر تفجـر المعلومات والرغبة في اختصار الوقت نظـرا لأن إهـدار الوقت يساوي تكلفة أعلى وأن التكيف مع البيئـة الخارجيـة يعتبر أول الشروط لاستمرار الحياة وأن إشباع الاحتياجـات الإنسانية الفردية لأعضاء المجتمع لم يعد يقتصر على المأكل والمشرب بل على الثقافة والفكـر والمشـاركة الاجتماعيـة والسياسية وتعد الجامعة من النظم التعليمية الثقافية والتربوية والتي يدخلها أعداد من الطلبة ومن مناطق مختلفة ومن كـل المستويات الاجتماعية ويخرج منها هؤلاء الطلبـة بـالآلاف وهؤلاء يمكن أن يتشربوا معنى الحفاظ على البيئة والـدفاع عنها خاصة ولو كانت الجامعة ترفع ذلك الشـعار ويتفهمـه أستاذ الجامعة [٩].

ويقول كينيت وتومسون، توجد الجامعات في الـدول النامية بصورة هشة جدا وكأنها في دور الطفولة ولم تختبـر ولم تجرب كما حدث للمعاهد المتقدمـة وأن نجاحهـا لـيس بالسهل، حيث ينصب اهتمامها على قيـد الطـلاب الـذين

تتضاعف أعدادهم بشكل عنيف حتى أن الكليات التي كانـت مصممة لأعداد قليلة أصبحت الآن تتخم بأعداد كبيرة ولـيس من المنتظر أن ينصلح ذلك الحال على المدى القريب [١٠].

ومن المعروف أن هناك نقدا لطريقة إدارة الجامعـة المصرية لعدم اندماجها مع المشكلات التي تزعج المجتمـع المصري فقد انتقلت إلى الأستاذ الجامعي عدوى الانفصـال في جزيرة مستقلة بعيدا عن المشاكل المثارة داخل المجتمـع والبيئة وكل ما تهتم به هو الأعداد المقبولة فـي أول العـام وأعداد المتخرجين في آخر العام وبين هذا وذاك أمور إدارية ومالية ومقررات معتـاد عليهـا ولكـن لا تـدخل ضـمن الاهتمامات ما أنجزته الجامعة لصالح المجتمع والبيئة أو ما يمكن أن تنجزه، بل إن الجامعة متهمة أنهـا تقـوم بإيعـاز للشباب بضرورة التكيف مع خطايا البيئة المصرية دون تقديم أي حلول للتغيير من خلال القنوات الشرعية.

وتستطيع الجامعة أن تكون بمثابـة جـرس إنـذار للمسئولين لتعديل المسار وإعادة النظر في اللوائح والقـوانين فمن الملاحظ مثلا تأثير المناخ السائد علـى ارتفـاع نسـبة العنف في المجتمع المصري.. حيث تنتشر أخبـار السـرقة

والمحسوبية والرشوة والواسطة والثراء المفاجئ دون جهـد ولا كفاح كذلك القضايا التي ينجح فيها بعض المواطنين فـي التغلب على القوانين ويشترك فيها مسئولون من الوسط مـع الكبار وكل ذلك يصنع المناخ الذي تتربى فيه أجيـال يـتم دفعها لاستعمال العنف كوسيلة أكيدة لتحقيق ما تريد تحقيقه. وتستطيع البيئة الجامعية من خلال أستاذ الجامعة أن يكـون لها صوت يصل للمسئولين في محاولة لتنويرهم وتحـذيرهم خاصة وأن هناك جيلا لا يجد أمامه القدوة والمثـل بعـد أن أطاحت آليات السوق بكثير من القيم وظهرت مفاهيم جديدة، منها أن الفقير لن يحصل على حقه سوى بالقوة وأن الغنـي حصل على أمواله بالنهب وبالتحايل وبالعنف وليس باحترام القانون [١١].

فالبطالة والفقر والجريمة والبغاء من المشاكل غيـر المرغوب فيها وحل تلك المشكلات بالمنع والاستبعاد لـيس في طاقة أي فرد أو جماعة بمفردها، بـل يتطلـب عمـلا جماعيا وهي لهـذا تسـمى مشـاكل المجتمـع أو مشـاكل اجتماعية.

وإذا كانت الحكومة تعفي ملاك العمارات الذين يبنون مسجدا من دفع الضرائب فإننـا نحتـاج لأن نعامـل مـن يساهمون في تزويد الجامعة بالأجهزة والآلات التعليمية بأنهم في نفس منزلة الذين يبنون دور العبادة.

## عملية التكامل داخل النسق الاجتماعي:

العالم كله الآن يعمل على تسخير العلوم لصالح البيئة وقد جاء في البرنامج الثاني لليونسكو والذي يعـرض فـي إطار مشروع تم وضعه لعام ٢٠٠٠-٢٠٠١ بعنوان تسخير العلوم لخدمة التنمية أن مساهمة اليونسكو في تقـدم العلـوم تشمل ثلاثة جوانب، إذ تدعم المنظمة التـدريب والبحـوث والتعاون في مختلف مجالات المعـارف العلميـة والتقنيـة، وتشجع تطبيق الاكتشافات العلمية في حل المشكلات البيئيـة والاجتماعية، وتشجع التفكير الجامع بين التخصصات بشـأن الآثار الأخلاقية للتحولات الطارئة على البيئة والمجتمعـات البشرية، وتدعو الحاجة في هذه المجالات الثلاثة أن تتضافر الجهود في مختلف التخصصـات ضـمن العلـوم البحتـة والطبيعية والاجتماعية والإنسانية كي تعم بعضـها بعضـا، وذلك بهدف التنشئة القائمة على أخلاقيات التنمية التي تحترم

في آن واحد "الأجناس" والبيئات التي تعيش فيها، وهذا هـو السبب في تجديد بيئة هذا البرنامج الرئيسي وقوته الدافعـة، بهدف تيسير المزيد من التكامل بين حقلي العلوم معـا فـي معالجة قضايا معقدة تتصل بالبيئة والتنمية الاجتماعية [١٢].

ويعتبر الغذاء والمأوى بمثابة الحد الأدنـى لإشـباع حاجات الأفراد ولكن هناك حاجـة إلـى عمليـة التكامـل Integration وضمان قدر من التعاون فالنظم الثقافية مثـل الدين المنظم، التعليم، وسائل الاتصال تقوم بوظيفـة العمـل على التكامل بين العناصر المتباينة في النسق الاجتماعي[١٣].

وإن تعليم الإنسان علم النفس، التربية، الرياضـيات، القانون وما إلى ذلك يكون ناقصا بدون ربط الأفراد مع شبكة المعرفة المجتمعية، حيث هناك فوائد كثيرة تحـدث للأمـم نتيجة للعمل التطوعي ولإسهامات الجامعة والتـي لا يمكـن قياسها بمعايير مالية، لكنها بالرغم من ذلك واقعيـة ودائمـة خاصة وأن الهوة بيننا وبين العالم المتقدم أصبحت عظيمة.

ففي الوقت الذي أصـبح العـالم يتعامـل بالبريـد الإلكتروني ويرسل الرسائل على التليفون المحمـول.. كمـا يتحدث الأفراد على شاشات الإنترنت بالصـوت والصـورة

وأصبح حجز الأماكن في الفضاء أمرا واقعيا.. مـا زالـت الحكومة تعرض في مصر برنامجها للقضاء على الأمية في حدود السنوات الخمس القادمة كما جاء في خطـاب السـيد رئيس الجمهورية في ١٧ سبتمبر سنة ٢٠٠٠ عند افتتاحـه للمؤتمر القومي للتنمية الاجتماعية.

وإذا كان العالم قد تنبه إلى أهمية النوعية السـكانية Population quality منذ ظهور كتـاب تشـارلز دارون أصل الأنواع عام ١٨٥٩ وأصبح الآن موضـوع استنسـاخ مخلوقات أكثر ذكاء وأكثر صحة هو الذي يشغل البشـرية.. فإننا مازلنا غارقين في كيفية توصيل كارثة الانفجار السكاني إلى أذهان من يمكنهم الحصول على وسائل تنظـيم الأسـرة ببلاش كده كما يحلو للإعلام أن يرددها.

وما تزال البيئة الجامعية نفسها بعيدة عن أي تغييـر وما يزال عدد الطلاب المدخنين في ازدياد مستمر لا يعبئون بصحتهم وبصحة من حولهم ولا بنظرات الأستاذ لهم، ومـا زالت أوراق الامتحانات يتم حرقها داخل الساحات في الكلية وتنبعث الأبخرة المدمرة للصحة دون أن يتحرك أحد.. ومـا يزال الطلبة يتزاحمون خارج قاعات التدريس فـي فوضـى

وضجيج مستمر ولا يدركون معنى أهمية الوقت.. وما زالت الإعلانات تلصق في أي مكان وعلى أي حائط أو لوح من الزجاج.. وما زالت أعداد من العمال يجلسون على الكراسي ولا ينظفون المكان إلا مرة واحدة في الصباح.. مشغولين بتقديم المشروبات.

وإذا كانت بعض الجامعات الأمريكية تعتمد على تبرعات المواطنين مستغلة في ذلك كما ورد في بعض التقارير، التوهج الاجتماعي والوازع الديني لبعض الميسورين فإن الجامعات المصرية تتعامل مع أعداد هائلة من الأساتذة الذين يؤمنون بفريضة الزكاة، كما أن أعدادا لا بأس منها قد عاشت لفترة ليست بالقصيرة خارج الوطن في الدول الشقيقة مما يؤهلها للمساهمة في تدعيم المؤسسة الجامعية التي لا تقل بأي حال من الأحوال عن بناء الجوامع أو الكنائس كقيمة للتكافل في عصر ينسحب فيه دور الدولة وتبرز فيه الجماعات.

لذلك جاءت توصيتي للبحث في ضرورة ربط الطلاب ببيئتهم ومجتمعهم في إطار اللوائح والقوانين من خلال التصور التالي:

١- فعلى غرار القرارات التي اتخـذتها بعـض مجـالس الكليات بضـرورة تنـوع موضـوعات الماجسـتير والدكتوراه حسب المقررات التي يتم تدريسها في كل قسم بحيث تتنوع الموضوعات في فروع العلم فإنـه يمكن إضافة لذلك، أن يقدم كل قسم اقتراح مشـروع عمل خدمي خلال العام الدراسـي لمجموعـة طلبـة الدراسات العليا في المرحلة التمهيدية وتكون درجـة نسبة الحضور مناصفة مع المشروع الذي تقـوم بـه المجموعة.

٢- يشرف على المشروع عضو هيئة التدريس وقد يكون أقدم أستاذ من يقوم القسم بتعيينه من خلال قرار القسم ويحتسب ماليا كمقرر دراسي للدراسات العليا.

٣- من الضروري أن يتم الاستعانة بالمدرسين المساعدين بالقسم للإشراف غير المباشر في ذلك المشروع حيث يقدمون التقارير عن تلك المجموعة للمشـرف علـى المشروع كجزء من وظيفتهم وتدريبهم.

٤- لا مانع أن تكون البداية مرتبطة بالبيئة الجامعية نفسها أو المنطقة المحيطة بالجامعة.

٥- على كل قسم أن يقدم نتائج مشروعه في لجنة تنميـة المجتمع والبيئة بالكلية.

٦- يقوم وكيل الكلية المختص بعرض ملخص مـن تلـك المشروعات في مجلس الكلية ويجوز أن تكون هنـاك مشروعات مشتركة مع أكثر من قسـم ممـا يوسـع أطرافها العمل ويجدد نشاط طلبة الدراسـات العليـا ويزيد من ارتباطهم بالمجتمع ويفتح لهم آفاق أوسع.

٧- يجوز إشراك أكبر عدد من طـلاب الكليـة كنشـاط لصالح المشروع لخدمة المجتمـع والبيئـة ودون أي التزام من حيث الدرجات أو غير ذلك ويتساوى مـن حيث المبدأ كالطالب المتطوع داخل نشاط الأسر.

٨- يختار مجلس الكلية المشروع الفائز لخدمة المجتمـع والبيئة ويرفعه إلى الجامعة ليدخل ضمن مسابقة فـي أكثر المشروعات تأثيرا لخدمة المجتمع والبيئة.

٩- يدخل في مسلمات نجاح المشروع زيادة عدد طـلاب البكالوريوس والليسانس الذين شـاركوا فـي العمـل التطوعي لخدمة المجتمع والبيئة.

## المراجع:


(1) Solon t. Kimball. Culture and the Education process (teachers college. Press college Columbia University. New York. London. copyright 1974) P.P. 278-279.

(٢) ستيفن دي كيرتز، دور الجامعات في عالم متغيـر، ترجمة عبد العزيـز سـليمان، إبـراهيم عصـمت مطاوع، دار النهضة، مصـر للطباعـة والنشـر، الفجالة، القاهرة، بالاشتراك مع مؤسسـة فـرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، سبتمبر ١٩٧٥) ص١٨٥.

(٣) المرجع السابق ١٨٤.

(٤) المرجع السابق ١٨٩.

(٥) سامية خضر صالح، السلطة والفقر بين المواجهـة والاستسلام. (الأنجلو المصـرية القـاهرة، ١٩٩٧) ص٨٥.

(6) Jacques Gautrat. Experience de Creation Institutionnelle du Participation. Annees Socilogiques. (Troisieme serie volume

universitaires de France Paris 1984) P.127.
(٧) سامية خضر صالح، البعد السياسي للجامعة والأمن البيئي، دراسة في المشاركة واتخاذ القرار، أكاديمية البحث العلمـي والتكنولوجيـا، القـاهرة، ١٩٩٦) ص٣٠، ٣١.
(٨) تشارلز فرانكل، الجامعة نظرات في التعليم الجامعي نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة، نيويورك، أبريل ١٩٦٩) ص٣٠، ٣١.
(٩) سامية خضر صالح، البعد السياسي للجامعة والأمن البيئي، المرجع السابق، ص١٨.
(١٠) كينيث وتومسول – الجامعات والعالم النامي، دور الجامعات في عـالم متغيـر، مؤسسـة فـرانكلين، القاهرة، نيويورك، ١٩٧٥، ص٢١٩.
(١١) استراتيجية مواجهة العنف، الأنجلـو المصـرية، القاهرة ١٩٩٨- ص٥٣.
(١٢) اليونسكو، البرنامج الرئيسي الثاني، تسخير العلوم لخدمة التنمية، ٢٠٠٠-٢٠٠١.

علي عبد الرازق حلبي، الاتجاهات الأساسـية فـي نظرية علم الاجتماع (دار المعرفة الجامعيـة، الإسـكندرية، ١٩٩١) ص١٩٧-١٩٨.